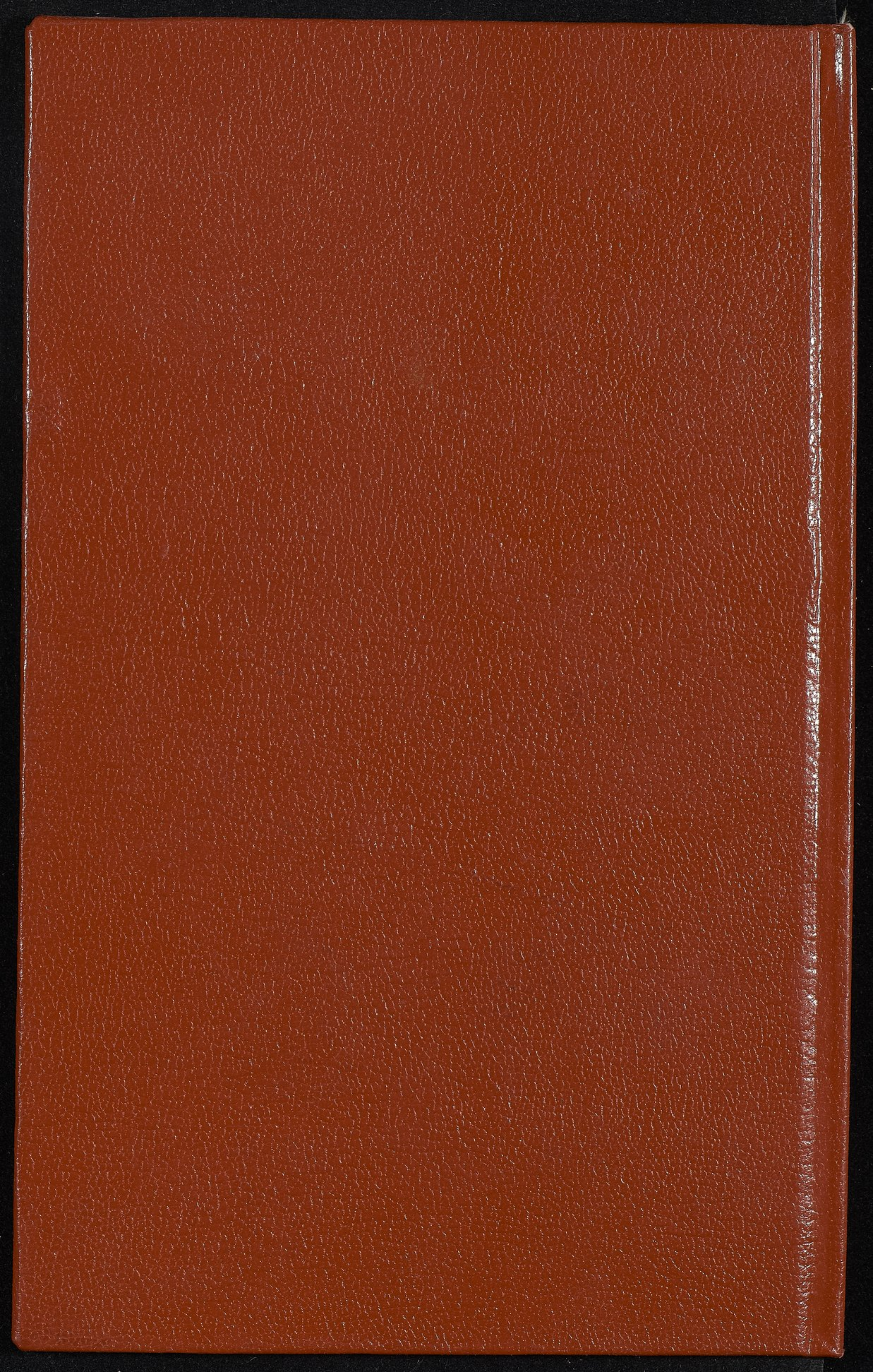
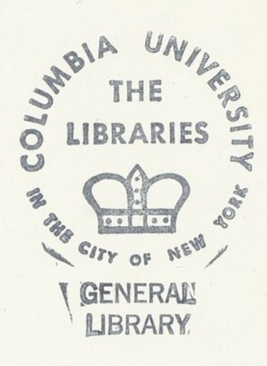
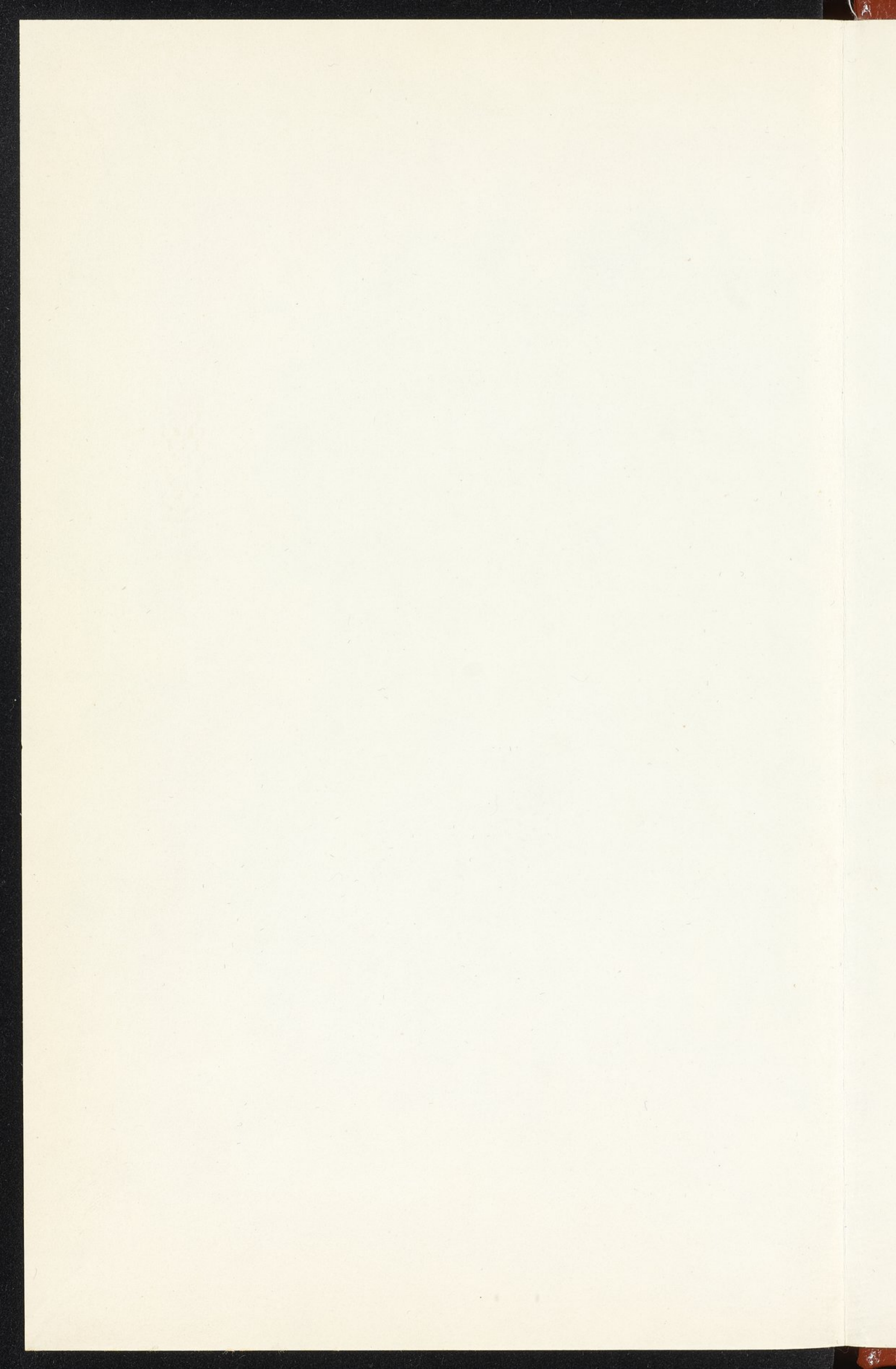
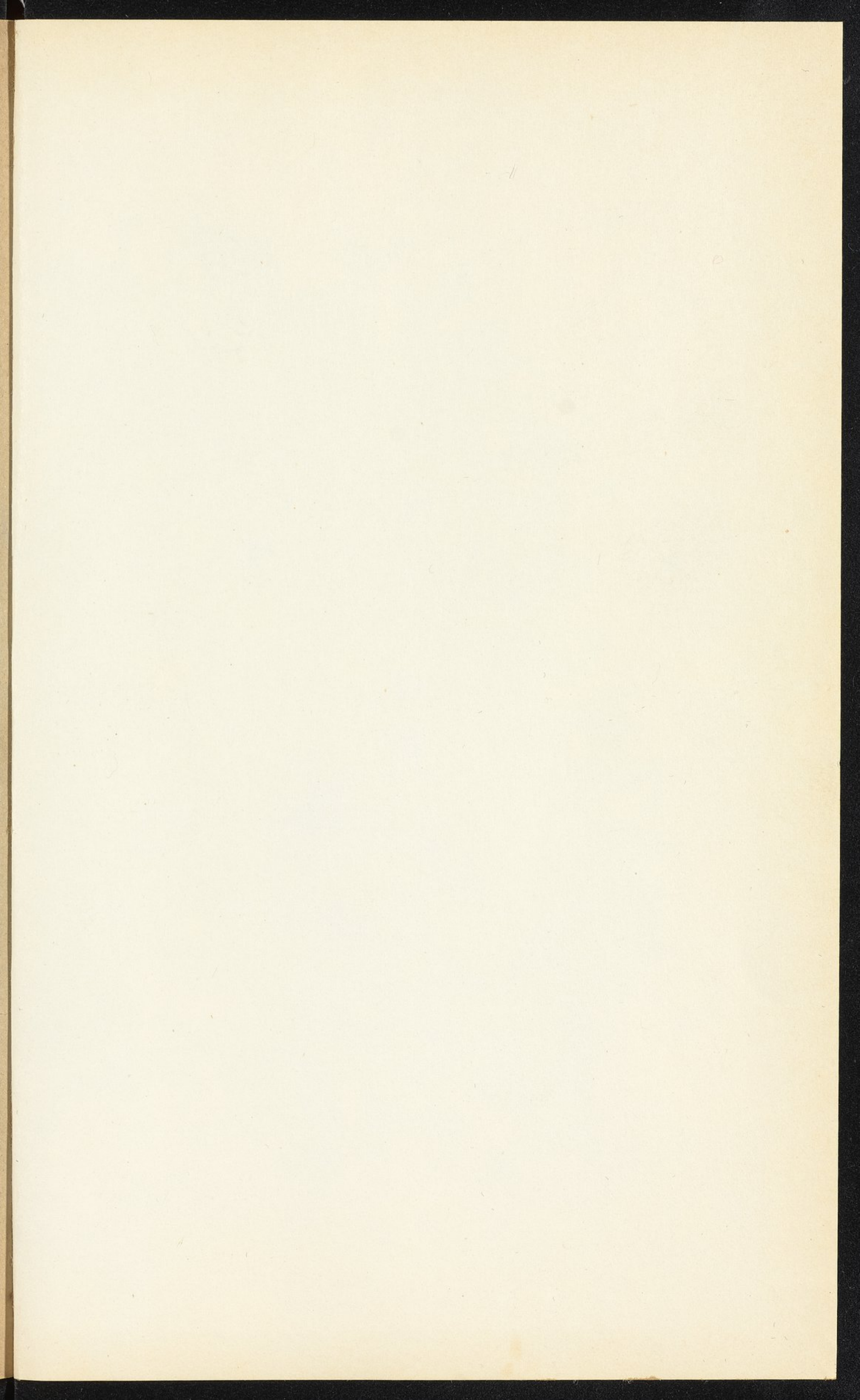
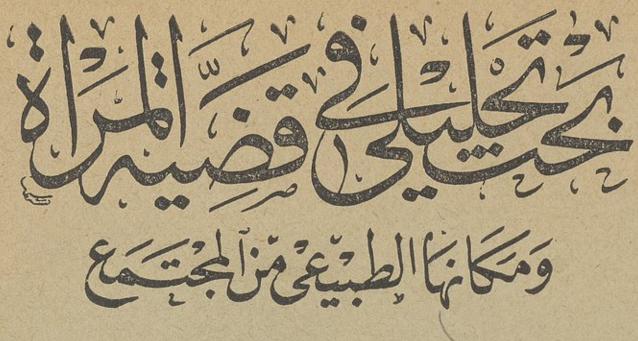



COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK
GENERAL
LIBRARY







بحث علمي برهاني تحليلي فى فلسفة المرأة وحياتها
والوضع الطبيعي اللائق بها في الاجتماع

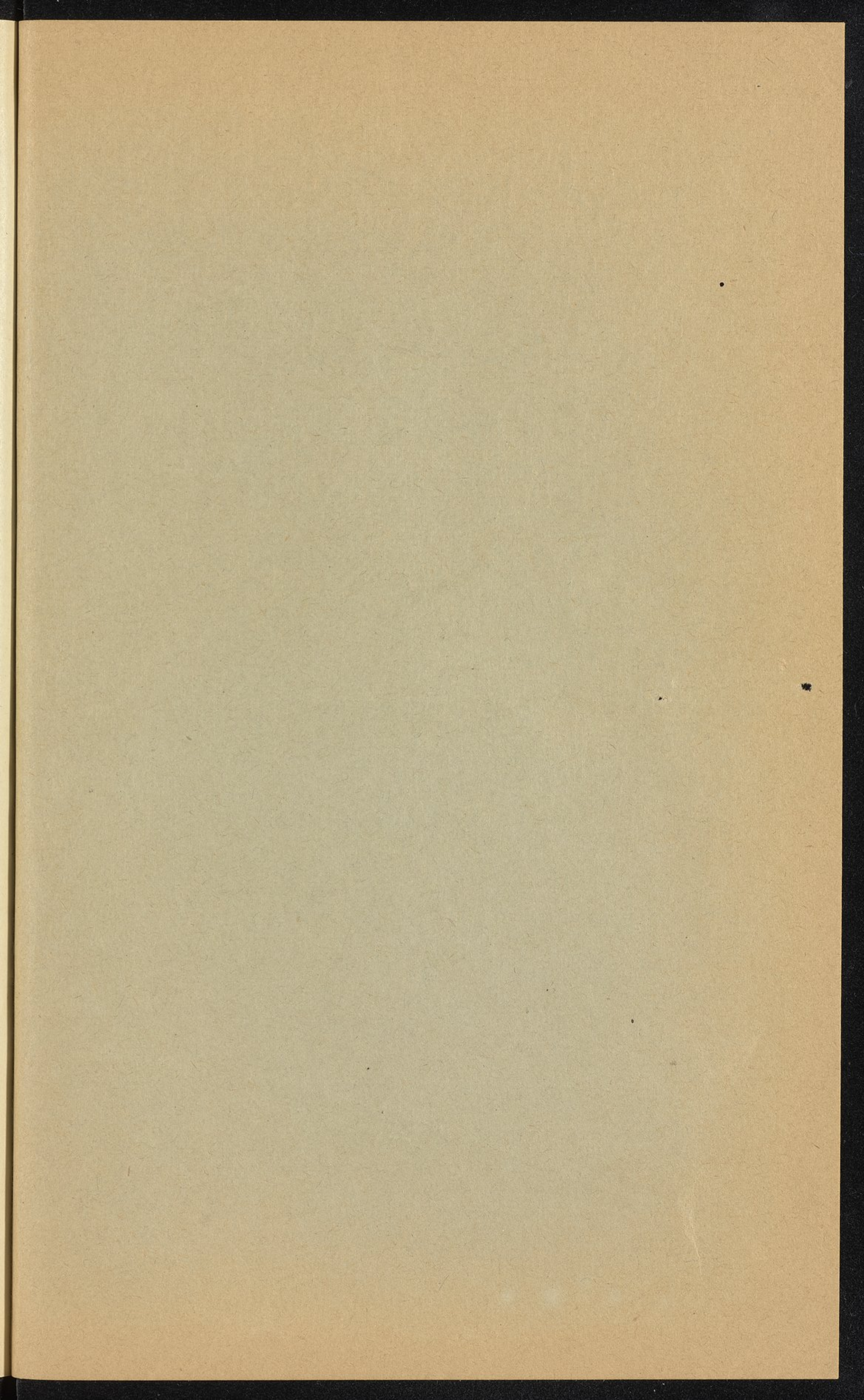
وضعه

محمد عبد الحليم الرمالي

من علماء الازهر ومفتش المساجد بوزارة الأوقاف

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣ - ١٩٣٤

مطبعة المنـار بمصر



بحث تحليلي في قضية المرأة

ومكانها الطبيعي من المجتمع

بحث علمي برهاني تحليلي فى فلسفة المرأة وحياتها
والوضع الطبيعي اللائق بها في الاجتماع

وضعه

محمد عبد الحليم الرمالي

من علماء الازهر ومفتش المساجد بوزارة الأوقاف

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣ - ١٩٣٤

مطبعة المنـار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله : ان الحمد له ، نستعينه ونستهديه ونثني عليه الخير كله ، ونشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له العليم الحكيم ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، آتاه الله العلم والحكمة وفصل الخطاب ، وأقامه إماماً للعالمين وأنزل عليه الكتاب ، فبث ذلك في البشرية نوراً وهداية ورحمة وخيراً عميما ، وكان فضل الله به على الناس عظيما (وبعد) فهذا بحث في قضية المرأة ومكانها الطبيعي من المجتمع ، على أسلوب برهاني تحليلي بعثني عليه ما يأتيك حديثه :

نشرت جريدة الاهرام في عددها الصادر بتاريخ ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٤ على الصفحة العاشرة تحت عنوان (قاض يعذر المرأة ولكنه يحافظ على التقاليد المصرية) ـ خبر قضية تتعلق بحادثة اتهام امرأة بالتفريط في عرضها ، وتتلخص هذه الحادثة في أن رجلا ضبط زوجته مع رجل آخر ، فأبلغ النيابة فاعتقلت المتهمين للتحقيق ، فرفعا قضية معارضة في استمرار الحبس أمام محكمة الوايلى ، وجاء أحد المحامين للدفاع عن الزوجة ، وقد جاء في سياق دفاعه تهور وطيش فيما يتعلق بالمرأة وسلوكها وآدابها فسرد حماقات دنسة على انها مبادىء وآراء تشريعية ، خشينا سوء أثرها في المجتمع فعالجنا تطهيره منها بهذا المقال الذي درسنا فيه فلسفة المرأة ، وحددنا فيه مكانها الطبيعي اللائق بها في الاجتماع ، وعرضنا لكثير من ضلالات المتفرنجين ونظرياتهم فمحصناها على أسلوب النقد والتحليل ، وأعرضنا عن الجدل الخطابي كي يلمس القارىء الحقيقة بينة ، لا يشككه فيها مضلل ، ولا يزحزحه عنها مشاغب ، بعد أن نستوعب له نواحي البحث ونستقصيها ، وقد بدأنا أولا بدرس المسألة في نفسها ، ثم ختمناه بفصل في مناقشة هذا المحامى ومن على شاكلته من مقلدة الافرنج

وستقف من نتيجة هذا البحث على مكان العبرة من آثار الطيش والاندفاع وراء ضلالات الافرنج وتقليدهم ، وتعلم أنه قد آن لنا أن نستأنف البحث في جميع شؤوننا من جديد على أسلوب الاستقلال والتمحيص الصارم ، محررين أنفسنا وعقولنا

ومدار كنا ومقاييسنا من كابوس التأثر بهذه المدنية الغربية ، وسطوتها التقليدية ، فقد جاء زمن اليقظة والانتباه ، ومضى زمن التقليد والاندفاع الاعمى في تيار هذه الجاهلية العمياء الثائرة المتهورة : تلك هى المدنية الفاجرة الفاسقة ، الملحدة الكافرة ، مدنية العذاب والخراب والشقاء ، مدنية الافرنج والمتفرنجين

يجب أن نتبين حقيقة حنيننا إلى ميراثنا القومى ـ تقاليد وعقائد ـ هل هو حنين عاطفى أم هو منطق حيوي ؟ هل هو صوت الإلف والعادة ، أم هو صوت الطبيعة ، وغريزة حب البقاء والدفاع عن الذات كامنة في ثنايا الفطرة أوت اليها منكمشة فكمنت فيها بعد أن تقلصت فروعها وتفاصيلها من كثرة الضربات ، وشدة المطاردات ، فتكورت على نفسها وتجمعت وانجحرت في طوايا الجبلة وثنايا الفطرة تقلقنا آناء متتابعة أو متقطعة بصوت الهمس الخافت ، هل هذه هى حالها فاذا ما تولتها يد البحث والتنقيب أخرجتها من هذه المطمورة فلسفة قوية المبادىء ، متناسقة التفاصيل ، تربط فروعها بأصولها أعصاب العقليات ، وتشدها أوتار المنطق ، فاذا نفخت فيها الروح انتعشت فكانت مصدر حياة وقوة تضيق عن مداها حدود الارض وتقهر بسلطانها العالمين ؟ إن كان الاول فليس كبير شيء ، أمر العاطفةهين ، وأثر الالف والعادة أهون ، وإن كان الثاني فوالله لقد وجب أن نستميت في الجهاد والدفاع ، ولا يفتّ في عضدنا انتصار خصومنا اليوم ، واندفاع الاكثرين إلى الاستسلام لهم ، فمن العار أن نكون أقل منهم شجاعة ، وأقصر همة ، لقد بدءوا جهادهم في أضعف قلة ، وأشد وحشة ، أمام أسوار وحصون منيعة من الاجماع الصلب تردهم على أعقابهم مدحورين ، ولكنهم ماوهنوا وما استكانوا بل صابروا واستماتوا حتى دكوا كثيراً من الحصون والمعاقل ، وثغروا كثيراً من الاسوار ، فأصبحوا ولهم صولة وأتباع كثيرون

هذا وقبل أن نشرع في الكلام نرى أن نعرض المساجلة الدفاعية بين المحامى والقاضي ، وهاهي بنصها منقولة عن الجريدة : قال المحامي « المتهمان بريئان ، ولا

يطمعان في عدل القاضي بأكثر مما يستحقان، لان التهمة قد لفقت عليها تلفيقاً من زوج هذه السيدة المسكينة، وهذا الزوج وإن كان ممن يسمون أنفسهم أولاد الذوات، إلا أنه ليس ككل الازواج، فهو يقوم الليل وينام النهار، يقوم الليل في الحانات والمواخير، وينام النهار ليستكثر من قيامته (كذا) بتلك الحانات والمواخير، وما زال كذلك حتى استحوذ بثروته على إحدى الغانيات، أو استحوذت هي بخفتها عليه، فأراد أن يطلق هذه الزوجة المسكينة، فطلب اليها أن تتنازل عن جميع حقوق الزوجية من النفقة والعدة وغيرها، فأبت عليه كل ذلك، فما زال بها يتربص لها حتى لفق عليها في خنوثة، ودس عليها في غير ما رجولة، حتى رتب لها هذا الفخ فأوقعها بريئة فيه، وخُيل اليه أنه بذلك انتصر وأسرع إلى النيابة مبلغاً، وهو يزهو ويفتخر لا لشيء إلا لانه أوقع بزوجته الطاهرة التي افترشها ثلاث سنين، فأي الزوجين المجنى عليه إذاً؟ أهي هذه الزوجة المسكينة التي تتعثر في أذيالها أمامكم؟ أم ذلك الزوج الغادر الذي يجب أن تسلقوه بألسنتكم في درس أخلاقي خطير يسجله عادل حكمكم؟

قال القاضي: إني كانسان أراني ميالا إلى عذر الزوجة التي يهملها زوجها هذا الاهمال، واني آسف لحالها أشد الاسف، لان استقامة الزوج يجب أن تكون مثالا طيباً لسلامة أخلاق الزوجة، غير اني كقاض مسلم يحكم باسم جلالة ملك مصر المسلم، أرى (وأنا بطبعي من المحافظين) إبقاء على تقاليدنا الاسلامية الموروثة: عدم الاندفاع في هذا الطريق

قال المحامى: ان القضاء الانجليزى قد حطم التقاليد في مثل هذه القضايا. ولقد شاهدت في أثناء دراستي بانكلترا — وكنت وقتئذ في كمبردج — تطوراً عجيبا في هذه القضايا الاخلاقية، فلقد عرضت على محكمة كمبردج في سنة ١٩٣٠ قضية اشتهرت بأنها قضية هيلانة حرب طروادة، ثار لها الرأي العام الانكليزي.

وتتلخص وقائعها في أن الدكتور سبرل أغوى المسز (تومس) وهي زوجة بقال بارعة الجمال ، فذهب الزوج يشكو إلى القضاء ، وكان القاضي هو المستر مكاردي القاضي الاعزب (كذا) المشهور ، فأصدر حكما سمح لنفسه فيه وهو أعزب أن يصف الملابس الداخلية للسيدات — الامر الذي أغضب اللورد سانكي قاضي قضاة انجلترا — وقد قرر هذا الحكم مبادىء خطيرة : أهمها ان جسم الزوجة ليس ملكا لزوجها ، فلها أن تستمتع به مع من تشاء من الرجال ، وعلى زوجها إذا كان لا يزال مبقيا على حبها أن يجثو على قدميه ويقول : أوقفي (كذا) حبك علي لاني لا زلت أحبك ، وان للزوجة أن تستصحب من تشاء من الرجال بدون توقف على رضاء زوجها ، ولها أن ترتب مقابلاتها لهم على النحو الذي تراه .

ولم يكد يصدر هذا الحكم حتي هاج له الرأي العام وماج ، وتناقلته التلغرافات وقد نشر في مصر أيضا وقال المجددون : هنيئا للزوجة الانكليزية بهذا الحكم الذي حطم عنها سلاسل التقاليد الماضية وأغلالها . وقال المحافظون : لا ، بل انه نكبة كبرى سرت إلى انكلترا من القارة الاوربية ، وان تحطيم تقاليد عهد فكتوريا الامبراطوري لأكبر خطر على تقاليد الاسرة الانكليزية ، وأخيراً مال الرأي العام إلى الاخذ بنظرية الرأي الاول ، لان الاخلاق العامة ليست إلا كائنا حيا يجب أن يتطور تطوراً بيولوجيا كسائر الكائنات الحية

قال القاضي : اني أستعين بعلم النفس «السيكولوجيا» في درس معظم قضاياي غير اني ميال جداً إلى المحافظة على التقاليد بقدر الامكان ، لانها ميراث قومى عظيم الشأن ، ولذلك فاني مع ارتياحي لوجهة نظرك أقرر الافراج عن المتهمين بكفالة قدرها جنيهان

قال المحامي : أشكركم وإلى اللقاء في جلسة المرافعة

انتهت حكاية هذه الحادثة ، وها نحن أولاء نشرع في الكلام ، وندرس المسألة في نفسها :

الفصل الاول

علاقة الرجل بالمرأة على أى وضع ينبغي أن تكون ؟

من أوضاع هذه العلاقة الزواج . فهل هو ضرورى ؟ أم هو اتفاقي يمكن أن يقوم أمر المجتمع على وضع آخر غيره ؟

تعريف الزواج

ما هو الزواج : الزواج عقد بين الرجل والمرأة ، يتضمن قصر المرأة على الرجل ، واختصاصه بها ، على أن يقوم الرجل بكفالتها ، ويتوفر علي حمايتها متحملا اعباء شؤنها ، ومصالحها ، ولهذا العقد معنى وفائدة .

اما معناه فهو امتزاج روحي ، وحنان قلبي ، في عطف ومودة ، ورحمة متبادلة بينهما ، يمدها الاخلاص ، ويذكيها الحب ، ويحصنها الصدق والامانة ، قال الله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) يجد الرجل في زوجته قرة عينه ، وبهجة روحه ، وسعادة نفسه ، وريحانة فؤاده ، وسكينة قلبه ، ومستقر طمأنينته ، وموضع ثقته ، وتجد المرأة في زوجها مثل ذلك وأكثر : تجد فيه أيضا مناط آمالها، وموضع رجائها، وملجأها لتحقيق أمانيها ، ونوال رغائبها فهو كفيلها الذى تستغنى به ، وحصنها الذي تعتصم به، وحفيظها الذى يفتديها بماله ونفسه .

وأما فائدته : فهي هذا النتاج والنسل الذي يحفظ بقاء نوع الانسان ، ويحول دون انقراضه، ويتبع ذلك تكوين العائلة، التى هي الوحدة الثانية بعد الفرد في بنية الاجتماع البشري

هل يمكن أن يقوم أمر الناس علي سنة أخرى غير نظام الزواج ؟

هل نظام الزواج ضرورى لصلاح البشر ؟ إذا كانت غاية الزواج انما هي قضاء الشهوة الجنسية بين الذكر والانثي ، وانتاج النسل ، فلم لا يجوز أن يكون

ذلك على سنة الشيوع بين الرجال والنساء ؟ فأيما رجل أصاب امرأة ، وأيما امرأة صادفت رجلا استمتع كل منهما بصاحبه ، فكان التلقيح وكان منه النسل وتحقق الغرض المقصود من الذكورة والأنوثة ، دون ارتباط أحدها بالآخر ثم يذهب هو إلى سبيله ، كما تذهب هي الى سبيلها ، هو الى امرأة أخري وهي إلى رجل آخر وهكذا . ولماذا لا يكون الشأن في الانسان ، كالشأن في سائر طوائف الحيوان ؟ انا نراه يتسافد ويتلاقح على سبيل الشيوع ، دون قصر فرد منه على فرد؛ وعلى ذلك قام أمره وبهذه السنة حفظت انواعه وها هي فصائله وطوائفه تعج بها الارض عجيجاً . فما بال الانسان دون سائر الحيوان ، ألا تكون هذه الشيوعية ادني الى زيادة متاع الانسان ذكره وأنثاه ، فيكون كل واحد منهما كالنحلة تتنقل بين أنواع الورد والزهور ، وتنشق جميع العطور ، فتتذوق من كل واحدة جنى وطعماً ، ويجد في كل واحدة لونا ومعنى ، يمرح الكل مع الكل ، ويستمتع الكل بالكل ، كما يشاء ، وبضدها تتميز الأشياء ؟

ما هذا الحجر الشديد ، في صلابة الحديد ، وما هذه القيود الثقيلة ، التي تسمونها بالزواج ، تقصرون بها فرداً على فرد ، فتحرمونه من الاستمتاع بسائر الافراد ، على ما فيهامن فنون المتاع وأنواع الحسن ، وألوان الجمال؟ ألا تظلمون الناس بحرمانهم من بهجة الحياة ومسراتها ، وكم فيها من بهجة ومسرة ومتاع ، ومرح حلو ، ولهو لذيذ :

ألا تظلمونهم إذ تقصرونهم على لون واحد إذا تعودوه ملوه، وان ألفوه عافوه؟

نقول في الجواب: كلا . ليس يقوم أمر البشر على هذه السنة ، ولا تصلح هذه الطريقة للانسان ، وان قام عليها أمر الحيوان ، واليك البيان .

إنا نرى مواليد الانسان والحيوان ، يحتاج كل منهما إلى حضانة أبويه ، وكفالتهما ، حتي يستطيع الانفصال والاستغناء عنهما . فيستقل بنفسه في تدبير حياته وتحصيل عيشه . وقد اودع الله قلوب الأبوين هذه الجذوة المتأججة من الرحمة ، وشغفهما بهذا الحب الشديد ، والشفقة القوية على هذا المولود الضعيف ،

ليقودهما بها ، ويسخرهما لحضانته وكفالته وحمايته . فانظر إلى آثار حكمة الله في تدبير شؤن خلقه

أودع الله جبلة الذكر والانثي غريزة هذا الميل الجنسى . نارا محتدمة تتلظي بين جوانحهما ، لا يطفيء لهبها الا الاقتران ، ليقودهما بذلك الى هذا الاقتران . ولولاه ما حنت امرأة الى رجل ولا عطف رجل على امرأة ، بل لقد كان يفر منها ، ويثقل عليه ظلها ، وقد جعل الله من رقة المرأة وجمالها ، وسائر صفات الانوثة فيها ، ما يغري هذا الرجل الخشن العصي الأبي، ويقوي فيه نزعة هذا الميل وينبهها ، كما جعل من قوته وخشونته، ما يغرى المرأة أيضا لاشباع نهم هذه الغريزة . وجعل أيضا من ضعفها وحاجتها الى الكفيل ما يسوقها اليه سوقا حثيثا لتقترن به ، فاذا ما تم هذا الاقتران وأنتج نتيجته ، فجاء هذا النسل الذي يحتاج الى حضانتهما وهو بدونها هالك لامحالة ، ساقهما الله الى تحمل هذه الاعباء الثقيلة بدافع هذه الرحمة المتوقدة في احشائهما ، وبهذا الحنو والحنان الهائج الذي لا يسكن اضطرابه الا بعطفهما على هذا المولود الضعيف وتفانيهما في حياطته

ما هو مقدار أعباء تلك الحضانة؟ وما هو مبلغ مداها في الحيوان والانسان؟ أما مقدارها في الحيوان فأمر هين سهل قليل جدا ، ولا يبلغ مداها فيه أكثر من أيام معدودات: من أسبوعين إلى أربعة تقريبا : لا يكلف الطائر مثلا أكثر من التقاط الحب يشرب عليه جرعات من الماء يجمعها في حوصلته حتي اذا ما نضجا فيها أرجعها عجينة سائلة يزق بها فراخه في حلوقها زقا ، فاذا ما تجاوز مدي الحضانة هذا المقدار إلى نحو سنة في الحيوانات اللبونة فلن يعدو أمرها أكثر من التقام الفصيل ثدي أمه واستتباعها إياه إلى مرعاها أو معلفها ليتمرن على التغذي ببعض الحشائش أو الحبوب تدريجا حتى ينتهي إلي الفطام ثم يذهب لسبيله، فتنقطع صلته بأمه ويتركها إلى حيث لا يعرفها ولا تعرفه .

هذه الحضانة في الحيوان خفيفة العبء، قصيرة المدى كما ترى ، إذا جهله أبوه وقعت أعباؤها على أمه دون أن ترهقها ، وإن عرفه أبوه فقد يشارك فيها أمه ولكن في عمل خفيف إلى أمد قصير من غير ضرورة إلى هذه المشاركة، ونريد

من ذلك أن أم الحيوان يمكنها أن تنفرد بكفالته ، عرفه أبوه أو جهله ، دون أن يرهقها ذلك عسرا أو عجزا

أما الانسان وما أدراك ما الانسان؛ فهو شيء آخر وراء ذلك شأنه جلل، وأمره عظيم ما أطول مدى حضانة هذا المولود الانساني ، وما أكثر حاجاته : مآكل ومشارب ذوات أصناف وألوان ،وملابس وأكسية ذوات أنواع ومعان : هذا للبدن ، وهذا للرأس ، وهذا للقدم . وهذا شعار ، وهذا دثار، وهذا للنصف الاعلى ،وهذا للنصف الاسفل ،وهذا للصيف ، وهذا للشتاء، وهذا لليل وهذا للنهار ، ثم دار تؤويه ذات مرافق وأدوات ،وأثاث ورياش، هذه مقاعد،وهذه مكاتب،وهذه ملاعب،وهذه أسرة وفراش. ثم يأتي دور التعليم وعما قليل يخالطه دور الشباب: هذه رسوم المدرسة وهذه أجور الدروس الخصوصية ، وهذه أثمان الكتب والادوات،وهذه نفقات التلميذ الشخصية ، فها أنت ترى ما يهولك من مقادير هذه الاشياء وثقل هذه الاعباء وكثرة هذه النفقات. وترى أن مداها قد يمتد عند العامة إلى نحو الثماني عشرة سنة وعند الخاصة إلى نحو الخمس والعشرين سنة إلى الثلاثين حتي يقطع جميع مراحل التعليم،وترى أن هذه حاجات مولود واحد فما بالك إذا كانوا عدة يضاعف ذلك بقدر عددهم،وترى أن الوالدين هما اللذان يقومان بحمل هذه الاعباء الثقال كل منهما بحسب ما يخصه وما هو من شأنه . وترى أن الدافع لهما إلى ذلك إنما هو هذه الرحمة التي ركبت في فطرتهما لهذا المولود !!

ثم إني سائلك بعد ذلك : ما علة هذه الرحمة ؟ وما سبب هذا الحنان ، وما هو شرط وجودهما؟ ألست ترى أن العلة هي أن الوالدين يريان أن هذا المولود بضعة منهما وقطعة من لحمهما ودمهما؟ ألست ترى أيضا أن شرط وجود هذه الرحمة عرفانهما ذلك المعنى يقينا جازما لا تخالطه شائبة ريبة ولا احتمال ؟ أما هذا المعنى فمحقق في المرأة على كل حال،وأما في الرجل فههنا بيت القصيد،ولب المسألة،ومحور الكلام: طبق النظام الشيوعي كلما صادف رجل امرأة لقحها، وكلما مالت امرأة إلى رجل استمتعت به،ففي هذه الحال هل يمكن للوالد أن يعرف ولده؟ وهل يمكن للولد أن يهتدى إلى

أبيه علي هذا الاشتباك وهذه الفوضى والاختلاط ؟ كلا، لا سبيل إلى ذلك بحال وأنه على ذلك لهو عين المحال

وإذا بطلت معرفة الانساب ، بطلت هذه الرحمة من قلوب الآباء ، وزال هذا الحنان الابوي وصار مكان هذا المولود من أبيـه المجهول كمكانه من جميع الرجال . قل لي بعد ذلك ما الذى يحمل الرجل بعد هذا على أن يشاطر المرأة هذا الشقاء ويأتي به من الجو الفسيح طليقا ليحمل على عاتقه هذا الحمل الذى ينوء به ؟ وأي الرجال يتقدم إلى ذلك دون الآخرين وكلهم في ذلك سواء ؟ لا تقل العاطفة الانسانية ، لا تقل لى إنها قد تحمل الرجال على مساعدة النساء في هـذه الحال، فان هذه الحاسة بازاء حاسة الابوة انما هي شيء ضعيف لا غناء فيه . إنا قد نجد الرجل يتقلب في النعمة ورغد العيش ، ينعم به هو وأهله ، وإلى جنب عتبة بيته كوخ أو منزل متهدم ، يثوى فيه صبية أيتام يبكون جوعا وعريا ، وتبكي أمهم ابكائهم ، وما يقع ذلك في حسابه شيئا

هذا علي أنا نرى الأب يكد الليل والنهار ، يكافح المصاعب ، ويركب الاخطار، ويعاني من المتاعب والآلام ما يهد قواه وهو لا يبالى بذلك ، وكل ذلك في سبيل أبنائه : يشقي نفسه ليسعدهم ، ويحرم نفسه ليعطيهم ، ويهدم بنيته لتقوى بنيتهم ، ويميت نفسه ليحييهم ، تعطي الفقير تمرة أو واحـدة من الفاكهة ونفسه تشتهيها فلا تعلو لسانه ، بل يقبض عليها حتي يصل الى أولاده فيتحفهم بها ويجد من لذتهم بها لذة في نفسه أكثر مما لو طعمها هو بما لا يوصف . فقل لى : ما سر هذا الايثار العجيب ؟ أليس هو ما قدمناه وعرفته ؟

فاذا بطلت الانساب ، أليس تبطل كل آثارها التي وصفت لك ؟ وإذن ففي هذه الحال قد وقع عبء الحياة ، وكفالة المواليد على عاتق المرأة وحدها . فماذا تري من شأنها في تلك الحال على ضعفها الخلقي . وتعرضها للامراض الطبيعية كالحيض والنفاس والولادة والرضاع ؟ وعلى فرض استطاعتها لذلك ؟ فمن ذا الذى يخلفها على اطفالها عند ما تصاب بهذه العوارض المحتومة ؟ واذن فقد هبط مستوى الانتاج العام الى مقدار ما ينتجه جهد المرأة وحدها على ضعفها المعلوم،

وما ينتجه الرجال كل فرد منهم بحسب كفاية شخصه فقط . واذا هبط مستوى الانتاج العام الى هذا المقدار وذهبت تلك الجهود الجبارة في جميع نواحي الانتاج العقلى والمادى، وهي التي كان يولدها تهالك الآباء على أولادهم ، اذا انتهي الامر الى ذلك اضطرب المجتمع وتقهقر الي أسفل سافلين ، وصار الى حال من الفوضي والاضطراب والشقاء تعجز عن وصفها الاقلام ويعيا ببيانها البيان . وعلى ذلك لا يكون الانسان هو هذا الانسان الذي تراه وتعرفه وتفهمه ، ولن تكون له هذه الآثار العمرانية على وجه هذه الارض . بل يكون شيئا آخر لا ندرى ما هوه . .

اذا تصورت هذا اتم تصور ، فلا تنس أن تضيف اليه هذه الامراض المزمنة التى تنهك قوي النوع البشرى وتهدها هـدا ، اذ تنتشر سمومها في دم المجتمع انتشاراً عاما ، فتذيقه من العذاب ألوانا ، تجعل الحياة جحيما ، وقد تجعل قوة التناسل عقيما ، تلك الامراض انما تنشأ عن هذه الشيوعية، كالزهري والسيلان ، ولا يقف ضررها عند الذين اصيبوا بها بل يستمر متنقلا في الذراري والاعقاب

هذا كله انما كان نتيجة تطبيق هذه الشيوعية على الذكر والانثي من الانسان ، واذن فلا سبيل الى وقاية الاجتماع البشري من هذه النتائج وشرورها ، الا بتضامن الرجل والمرأة في حمل أعباء العائلة ، ولا سبيل الى حمل الرجل علي ذلك الا بدافع هذه الرحمة الابويه ، ولن يكون ذلك الا بشرطه ، وهو معرفة الاب لابنائه الذين هم من صلبه ، معرفة يقينية جازمة . ولا سبيل الى تلك المعرفة في هذه الفوضى الشيوعية . وانما يكون ذلك في نظام الزوجية بقصر المرأة على الرجل قصراً حاسما، يضمن له هذا اليقين، ويحفظه عليه نقيا بريئا من كل شبهة ووسواس.

ومن هنا أراك قد ظهرت لك هذه الحكمة العالية في صرامة الشرائع الدينية في مقت الزنا وتقبيح أمره وتفظيعه ، وبان لك سر تشددها في أمر هذه الجريمة، والمبالغة في عقوبتها حتى كان منها القتل واعدام الحياة : ذلك لان الزنا انما هو قنابل ضخمة قوية، يطلقها الزناة والزواني في بناء المجتمع، واذا تتابعت القنابل على صرح أتت عليه ودكته إلى القرار دكا ، ومن هنا أيضا عرفت السر في تشدد الشرائع الدينية ، وأخصها الاسلام في تحريم كل ما كان من ذرائع الزناء ووسائله

التى تؤدي إليه من طريق الفتنة والاغراء والاستهواء، وذلك كتبرج النساء لغير أزواجهن، ومخالطتهن لغير محارمهن، فان هذا التبرج، وهذا الاختلاط، وتفنن المرأة فيهما على هذه الاحوال المعلومة كل ذلك مهيىء لوقوع هذه الجريمة، وموصل الى اسبابها القريبة، وأقل نتائجه، أن يكون مثاراً لريبة الازواج، يولد في نفوسهم وسواسا يزلزل يقينهم، وتضطرب به طمأنينتهم

ومن هنا أيضا تعلم مبلغ إصابة الشرائع الدينية في توزيع اعمال الحياة علي الرجل والمرأة، اذ تقصر المرأة على وظيفة الامومة والبيت، وتدبير المنزل، وتحمل على الرجل بقية وظائف الحياة، وتحمي المرأة من التعرض لشقاء الاعمال العامة خارج المنزل وتحمل على الرجال نفقاتها، إن لم يكن زوجا فأبا أو ابنا أو أخا أو ذا رحم، رفقا بضعفها عن احتمال هذه المشاق، أو حماية لأنوثتها التي تفسدها عليها مزاولة هذه الاعمال، أو قصرا لجهودها على الامومة ووظائف المنزل، أو صيانة لعرضها عن دنس الرذيلة، أو الاتهام والريبة، أو حفظا لسمعتها التي هي رأس مالها في عقد الزوجية، الذي هو الاساس الوحيد لبناء المجتمع العائلي كما مر بيانه

على أن مشاركة النساء ومزاحمتهن للرجال في الاعمال العامة، ليست بذات فائدة في الانتاج العام والميزان الاقتصادي للمجتمع، فقد نشأ عن هذه المزاحمة زيادة العاملين عن العمل فكثر العاطلون، من الرجال، حتى بلغوا عشرات الملايين في مجموع هذه الامم التى شذت فيها المرأة عن وظيفتها الطبيعية، فأفسدت نفسها وأهملت بيتها، وافسدت علي الرجل سبل عيشه، حتي اضطرت الحكومات أن تعول هذه المجاميع الهائلة من الاموال العامة

ياللعجب، وللمنطق المعكوس، اذا كان لابد للمجتمع أن يعول طوائف منه عاطلة، قاعدة، فأيما أولى أن تكون اصناف هذه الطوائف: أمن الرجال أم من النساء؟ أليست المرأة الضعيفة أولى بذلك من الرجل القوي؟ بل أليس عول المرأة أنفع للمجتمع إذ يفيده فائدتين: يصرفها عن الاعمال الخارجية إلى البيت فيحل محلها الرجل، فينتج كل منهما في موضعه الذي هو أهل له؟ بلى، بلى وكذلك كانت نظرة الاسلام في تشريعه وما أصدقها من نظرة، وأجلها من حكمة

بنينا هذا البحث على سؤال وجواب ، وأطلنا القول في تقرير هذا الجواب ، كما تعمدنا البسط في تصوير السؤال ، لاننا نعلم أن هذا السؤال ترجمة حرفية لشعور فاسد سيء لبعض نابتة اليوم شبابنا وشابات ، يوحي به بعضهم إلى بعض زخرفا من القول غروراً بأهواء الاباحيين من الافرنج ، وسريان هذا الشعور كله أو بعضه في نفوس الشباب على شكل منطقي أو إحساس شهواني ، أو اندفاع في تيار تقليدي ، هو السبب والعلة في إعراضهم عن الزواج ، وميلهم إلى اتخاذ الاخدان والخليلات ، وتدبير الحيلة لاستهواء الفتيات ، والتفنن في استغواء العذارى الطاهرات ، وإيذاء المحصنات الغافلات ، وارتيادهم الشوارع ودور اللهو المحرم ، لاقتناص هذه الفرائس الضعيفة وأخذهم عليها كل سبيل ، وقد ساعدتهم المرأة على تماديهم في هذا الفساد ، وسهلت لهم غزو قلبها ، ومهاجمة شرفها وطهرها ، ساعدتهم على ذلك بظهورها في جميع معارض الحياة العامة ومشاهدها متجردة من ثياب الحشمة والوقار والادب ، متهادية في ثياب التبرج والزينة ، متفننة في هذه المظاهر المغرية ، مسرفة في هذه المباهج الفاتنة ، نازعة إلى مخالطتهم ، بل نراها قد استجابت لدعوتهم على الوصف الذي سنسرده عليك في الفصل التالي .

كانت نتيجة هذا الجموح الشديد ، والتمرد العنيد من المرأة ، أن جرت على المجتمع وعلى نفسها مصائب عدة ، إذ تيسر للشباب أن يلهو بالمرأة هذا اللهو الممقوت واكتفى به عن الزواج وقيوده وتكاليفه وأثقاله ، وماله وهذا العبء الثقيل ، والحبس الطويل ، وأمامه الجو الفسيح يعج بكل حسناء ، وغادة هيفاء ، وكاعب ناهد ، وغزال شارد ، ومياسة لعوب ، وضحوك طروب ، وحوراء عيناء ، تكسف طلعتها الشمس ، ويخجل منها القمر .

بهذا كسدت بضاعة المرأة في سوق الزواج ، وزاد العرض وقل الطلب ، ووقعت نكبة هذه الازمة على رأس المرأة وحدها ، عقوبة لها على إفراطها ، وإسرافها في بذل نفسها لهذا الشباب المفتون ، يلهو بها هذا اللهو العقيم ، وأصبحت أزمة المرأة من أعقد معضلات الاجتماع عندنا ، كما أصاب الذين سلكوا هذا الدرب وساروا عليه قبلنا : وكلما أمعنت المرأة في هذا السبيل ، أمعنت الازمة إشكالا وإعضالا

الفصل الثاني

سؤال كله عبر، وفيه بلاغ ومدكر

سؤال نرسله إلى العقلاء الغيورين ، والكتاب الباحثين ، والعلماء المفكرين ، من كل ذى بصيرة نافذة ، مستقل في تفكيره ، رزين في أحكامه ووزنه وتقديره ، بصير بأصول النظر وفنونه ، معافى من حمى التقليد وجنونه : أسائل هؤلاء وقليل ماهم ، على أى مبدأ وعلي أى فلسفة ولأي معنى دفعنا مجتمعنا إلى هذا الاتجاه الذي تتجه مهداته (البوصلة) إلى هذه النكبة الاخلاقية والهاوية الاجتماعية ، والجائحة العمرانية ، من كل راجفة تتبعها رادفة ، وكل ساحقة تركبها ماحقة ، ياهؤلاء الناس بأي حق جاز لهذا الطغيان النسائي أن يغرقنا طوفانه حتى ما يبقي ولا يذر ؟ وبأي معنى جاز للمرأة أن تنخلع من قيود الآداب فتخلع ثياب الحشمة ولباس الوقار ونقاب الحياء ، وتظهر علينا سافرة حاسرة ، تتبرج في مظاهر هذه الزينة الفاتنة المغرية ، جمالها إغراء ، وثيابها إغراء ، وحليها وزينتها إغراء ، ومشيتها تميس وتتهادى في الطريق إغراء ، وحديثها مع صواحباتها أثناء سيرهن إغراء ، وعيونها ونظراتها إغراء ، وابتساماتها إغراء ، وضحكها ولعبها إغراء ، وصوتها الرخيم ونبراته إغراء ، وعطورها وروائحها التي تفرغها على نفسها فتفغم أنوف المارة إغراء ، وعلى إجمال القول كلها إغراء في إغراء ، ولا شيء منها إلا وهو إغراء ، ثم هي لا تكتفي بنصيبها في الجمال ، بل تريد أن تظهر بأكثر من حقيقتها ، فعمدت إلى هذا الكذب الوقح ، والتزوير السخيف ، وجاءت بهذه الاصباغ والمساحيق ، فمسحت بها خدودها ، وصبغت بها شفاهها ، ومست بها نحرها وجيدها ، واستعارت منها لأظافيرها ، وعالجت ببعض السوائل الكيماوية شعورها ، لم يعجبها السواد فاستبدلت به الصفرة ، فبئس هذا الكذب ، وبئست هذه الكاذبة .

برزت بيننا بهذه المغريات فكانت عاصفة هوجاء من الفتنة ، ولا شيء منها إلا وهو فتنة ، عاصفة تعصف رياحها ، وتصطفق زعازعها في جميع نواحي

الاجتماع وأقطاره ، أو هي في الناس سحر قوي خادع ، يخلب الالباب ، ويستهوى العقول ، ويعبث بالافئدة ، أو هي في الناس مس الجنون ، والجنون كما تعلمون فنون

يا هؤلاء الناس انها لم تقف في غرورها وتهورها عند هـذا الحد ، بل اجترأت على التفنن في أنواع الفتنة ، فظهرت عارية في دور اللهو ونوادي الرقص لا كساء لها إلا هذه المموهات الكاذبة تضاعف بها الجمال والفتنة ، ظهرت في هذه الدور بما هو أشد نكاية وأدهي وأمر بلاء مما هي في الشارع ، لقد ملات الارض والهواء والجدران والشواخص والمراكب اعلانات ودعايات إلى نفسها فتستجيب لها هذه الجماهير المفتونة بها ليشهدوا منها هذه المشاهد الآثمة ، وتجدهم حولها صرعي ، قد وقعوا في اسرها ، ولا يستطيعون من هذا الاسر فكاكا . ثم هي بعد ذلك لم تقف عند هذا الحد أيضاً ، بل تجاوزته وأمعنت في التهتك ، فاندفعت تتهافت على الرقص الافرنجي الاباحى ، وقد انشئت المعاهد لتعليمه ، والدور لتمثيله ، تخاصر المرأة فيه الشباب والفتيان ، ويشتمل حضن كل منهما على صاحبه اتم اشتمال ، على هذا العرى الذى لا تنفي ثياب الرقص من معناه شيئاً ، في هذه السن الهائجة ، سن الشباب المحتدم ، ويقظة الغرائز المغتلمة ، ثم هاهي أيضا لم تقف عند هـذا الحد ، بل تجاوزته إلى ما عظمت به المصيبة . واشتدت به البلوي ، من هذه المصايف ، وحماماتها ، على الشواطيء في بور سعيد ، ورأس البر بدمياط ، وستانلى باى بالاسكندرية ، مخالطة للرجال في البر والبحر ، يموج بعضهم في بعض ، ويمرح بعضهم مع بعض ، على هذا التجرد والعري في مداعبات وملاعبات ، وأحوال وشئون أخري ، لا يأتي الوصف علي ويلاتها ومخازيها ، جمدت يدي عن سرد شيء منها ، مكتفيا بالاشارة اليها

إن هذه الحال ، ان لم تبلغ الآن أن تكون قضية عامة ، فهى عاصفة قوية وتيار شديد ، استخف الناس على درجات متفاوتة ، وكلما خف فيه وزن واحد أو واحدة جرفه وجرفها ، وسيستمر هذا التيار يقوي ويشتد حتي يأتي على كل شيء فلا يبقى ولا يذر .

وان تعجب فأعجب من ذلك أن ترى بعض العقلاء منـا لا يفكرون في

مقاطعة هذه المصايف . بل تراهم يتحملون بعائلاتهم سراعا اليها في صيف كل عام ، ولا يفطنون إلى أن ذلك يعرض عائلاتهم للاصابة بعدواها الفاتكة .

يا أيها الناس : من كان له أذنان للسمع فليسمع : ما شأن هذه المرأة وماذا تريد ، وما هو مغزي أعمالها واحداثها هذه التى ملأت بها الدنيا فوضي وصخبا ولغطا ، ما ترجمة ما تعنيه من هذه الاعمال ، وهذه الاحداث ، وما هو نصها إذا ترجمت من لغة الاعمال إلى لغة العبارة والكلام ؟ ياللخزى والعار ،وضيعة الكرامة والشرف

يا أيتها المرآة ، يجب أن تأخذك صيحة الحقيقة مزعجة فتسائلك : على من تعرضين هذه البضاعة ؟إذا كانت هذه البضاعة لا يجوز الاستمتاع بها إلا لذوى الحق الشرعي فيها (ونعني بهم الازواج) فما ذنب سائر الناس وما شأنهم بك، وما شأنك بهم ، وهل يكون لذلك فيهم إلا أسوأ الاثر ؟ وماذا يصيب المجتمع من ذلك غير البلاء والويلات والنكبات ؟

ياأيها الناس جدوا إن الامر جد وليس بالهزل : انها للهاوية السحيقة مالها من قرار ، نتردي فيها وأعيننا مفتوحة في غير وعي كأعين المسحورين. افتحوا أعينكم على الواقع ، واعطوه حقه من الوعي والحذر والنظر البعيد . يا رجال الامة وقادتها وأئمتها : إن المرأة بتصرفها هذا تضرب المجتمع في صميمه عدة ضربات قاتلة : تضربه في اخلاقه فتحللها ، وتضربه في بناء العائلة باهمالها فتوهنها ، وتضربه في سعادة الازواج فتحطمها باستبدادها عليهم وتمردها ، وتضربه في نظم الزواج فتعطلها اذ ترونها تشذ فلاتذعن لمقتضياتها ومقاصدها ، وتضربه في ثروته العامة فتبذرها وتبددها ، وتضربه في قوته العلمية فتؤخرها وتقهقرها ، وتضربه في قوة الانتاج العام فتضعفها وتقللها

هذه ضربات سبع تراها ظاهرة مفهومة مما تقدم الا الثلاثة الاخيرة منها فأخصها بمزيد بيان (أما ضربتها للثروة العامة) فحسبك منها نظرة اجمالية في عالم الاقتصاد وقوى الانتاج ومسارب الثروة ، وفروع الحياة ، لتعلم مقدار ماتستهلكه المرأة منها في نفقات ثيابها ، وأثمان حليها وزينتها ، وأدوات تبرجها ، وما ورطت

الرجل فيه من أسباب الرفاهية في المسكن والاثاث ، والزينة والرياش ، ومهور الزواج ، ونفقات العيش الخ فقد غلب سلطانها في ذلك سلطان الرجل وقد أذعن هو وخضع ، ويرجع ذلك الى غريزة من غرائزها الحمقاء ، وهي حب التظاهر بأ كثر مما تحتمله طاقتها وطاقة ذويها ، وشدة تطلعها في كل طبقة إلى الطبقة التى فوقها ، فتحاول اللحاق بهم ، والاندماج فيهم ، تصنعا مرهقا لاطاقة واقتدارا

وما ثيابها هذه العنكبوتية المهلهلة على غلو أثمانها ، وقصر آجالها ، وقلة غنائها ، وهي كل يوم منها في جديد ، تراها سريعة التقلب والتحول في ازيائها وأشكالها واللاحق منها يبطل السابق في سرعة جنونية ، فجديد الامس قديم اليوم ، ومقبول اليوم منبوذ الغد وهكذا

ثياب الرجل متينة وهي على الاقل حولية ، تغسل وتلبس طول العام أو أكثر من العام على رخص اسعارها ، وقلة نفقات صنعها واصلاحها ، وثياب المرأة تكاد تكون شهرية ، إن احتملت لبسة أو اثنتين فقد لا تبلغ الثالثة ، وتراها لا تحتمل الغسل لتستعيد لبسها وهي على ذلك غالية الثمن ، كثيرة النفقات الباهظة ، ولو أخذت بالحدس والتخمين في تقدير ما تتسبب المرأة في استهلاكه من الثروة العامة ، فيما يخصها ، وما تورَّط فيه الرجل بسببها ، فما أظنني مبالغا إذا قدرته بنحو النصف منها في غير ضرورة ملجئة ، ولا حاجة معقولة ، فضاعفت بذلك تكاليف الحياة ، ووضعتها على كاهل الرجل عبئا ثقيلا ناء بعاتقه ، وأنقض ظهره ، وضاقت به طاقته ، فوقعت طبقات الامة في عسرة شديدة ، وأزمات مرهقة ، لم يفلت منها أرباب الثروات الواسعة ، ولا تغرنك الظواهر ، اذا نفذت إلى البواطن

حرام أيها الناس والله حرام : يظل فلاحنا المسكين يكد طول العام عاملا جاهدا في أرضنا ومزارعنا ، يحرقه الحر ، ويقتله البرد ، حتى يجمع هذه الثروة الطائلة وهو لا يستخرجها من الارض حتي يرويها بما يريقه من ذوب جسمه ، وعرق جبينه يتساقط علي الارض قطرات هي حبات الحياة . ثم تقع هذه الثروة في يد فريق منا فتقع تحت سلطان المرأة تبددها في مثل هذا الخبل بهذا الاسراف ، وجامعها المسكين يقاسي العري لاذعا ، والجوع قاتلا

حرام والله حرام (ايها الناس) الى م تدفعنا هذه المرأة فيما تدفعنا إليه من المصائب ؟ أتريد أن تدفعنا أيضا إلى البلشفية أم ماذا ؟ علم ذلك عند المرأة ، وأنصار المرأة، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأما (ضربتها لقوة المجتمع العلمية) فيالها من ضربة مصمية : شغلت المرأة الناس بمظاهرها السابقة ، فأصبح الناس منها في شغل شاغل ، وخاصة طبقات الشباب ، ومنهم تلاميذ المدارس وطلاب العلوم : ما أحوج التلاميذ وطلاب العلوم إلى الفراغ من شواغل الحياة وتكاليفها ليتفرغوا لما وقفوا أنفسهم عليه من الدرس والتحصيل، كي تنطلق مداركهم وقواهم العقلية ، لتجول فيما يلقي اليهم تتفهم معناه ولكي تنفذ تأملاتهم الى صميمه لتكتنه سره، وتتعرف مغزاه، ولا يمكن ذلك ولا يكون الا في فراغ لايزاحمه أى شاغل ، وهدوء لايشوشه أي صاخب ، ولهذا يقوم لهم اهلوهم بما يكفيهم مؤنة الحياة وشواغلها كافة أتم قيام

ثم ما أحوجهم أيضاوهم في سن الشباب الى ركود غرائزهم الجنسية ، كيلا تشوش عليهم هذا الهدوء بضجيجها وعجيجها، وثورتها العاصفة ، تملأ نفوسهم شغلا وتضطرم بين جوانحهم نارا متأججة هى البراكين في فورانها وثورانها لا تطيق الحبس حتي تنفجر فتنسف مايوقها من الضواغط نسفا ، ما أحوج هؤلاء الى نوم تلك الغرائز عنهم ليكفوا شرها ، ويتمكنوا من التحصيل أثناء نومها وهدأتها ، ولكن قد أبت ذلك عليهم المرأة : وقفت لهم كما وقفت لسائر الناس بكل مرصد ، وتعرضت لهم في كل مشهد ، وأخذت عليهم جميع السبل ، وملأت عليهم حياتهم صخبا ولغطا :شغلت منهم كل فراغ ، فهاموا بها في كل واد ، وطلبوها في كل ناد

ياليت شعرى ، ماذا بقى من هذا الشاب المشغول بالمرأة في ثورة الشباب وحدته ؟ ماذا بقي منه لدرسه وعلومه ؟ انك اذا حققت الأمر لن تجد من مثل هذا التلميذ الشاب من يدخل المدرسة أو يجلس على مقعده في الفصل أمام الاستاذ أو ينظر في كراسته أو كتابه أو يحمل الكتب في حضنه ذاهبا وآيبا إلا شخصه الظاهر ، وجثمانه المنظور ، أما شخصه الباطن ، وعقله الواعي ، ولبه اللقن ، فغائب مع المرأة ، مشغول بها عن

كل ذلك، مشغول بحبه إياها ولهوه بها، مشغول بمواعيد لقائها، أين يقابلها: أفي السينما، أم في التمثيل، أم في المرقص؟ أم في الطريق، أم في الحديقة، ماهو خط سيره معها الليلة، أيتنزه واياها في سيارة إلى الجيزة أو الهرم؟ أم في حدائق القبة، أم في غيرها من الضواحي؟ أم يستصحبها إلى إحدى دور الملاهى؟ هل يجد ماينفقه عليها الليلة؟ ماذا يكون موضوع الحديث أو السمر؟ الخ ما تعلم من مثل هذه الشئون، بل أبت المرأة إلا أن يكون أكثر من ذلك: أبت إلا أن تقتحم عليه المدرسة فدخلت عليه تزاحمه في المدرسة، وجلست وإياه على مقعد واحد جنبا لجنب داخل المدرسة، وها أنت قد فطنت إلى حماقة الفكرة القائلة باختلاط الجنسين في معاهد الدراسة، وسوء رأي المدافعين عنها، وغباوة المنتصرين لها

يظل صاحبنا طول السنة الدراسية على مثل هذه الحال السابقة، فاذا ما آذن العام بالانصرام حبس نفسه أياما معدودات على الكتب والمذكرات يستظهر منها مقرر السنة، استظهاراً لسانيا ببغاويا لم يتذوقه العقل، ولم يحط به الوعي، ولم يمسسه الفهم، ثم يتقدم الى الامتحان، فيفرغ على الورق هذه الاسطوانة افراغاً لفظيا، واذا به قد مر وانتقل الى السنة التالية، وهكذا يمضي سني الدراسة حتى يتمها على ذلك المنهاج، وان وجد في تحصيله أثر عقلي، فهو ضعيف بمقدار ما يربط التحصيل اللفظي. فلهذا هبط المستوى العلمي عندنا، وانحط عما كان ينبغي أن يكون، وضعف التخريج العلمي فينا حتى قل عندنا النوابغ الافذاذ، وهذه احدى مصائب المرأة، وجناياتها علينا: جنت على هذا التلميذ، فقصر عن المدى الذي كان يستطيع بلوغه لولاها، وجنت أيضا على أهله، فما دروه هم من فراغ بال هذا الطالب ليمتلىء علما، عدت هي عليه فملأته شغلا بها وهياما، تحملوا أعباء ذلك غرماً فاختلسته هي واحتلته غنما دون تأثم ولا حرج: هذا وما عنيت هذه القضية كلية وإنما عنيتها على الواقع الكثير

وأما ضربتها للانتاج العام بنوعيه العلمي والمادي فقد تقدم بيان العلمي، وأما المادي في جميع فروعه فحسبك منه شغلها الشاغل للناس، فلا تدعهم يتفرغون لأعمالهم: تأمل ما استحدث من أنواع اللهو الذي زخرت بحوره، وتنوعت فنونه، وامتدت أقطاره بما تحمل من سموم وخبث وقذر الى جميع منابض

الحياة ، حتي اقتحمت على الناس بيوتهـم ومسا كنهم ، تحملها أوعية الحواكي « الفونوغرافات » وتزجيها أمواج الاثير الى أبواق الاذاعة « الراديو »

وبيت القصيد في ذلك كله ، انما هو المرأة ، وغناء المرأة ، وجمال المرأة ، وعشق المرأة ، والغرام بالمرأة ، واخلاص المرأة ، وخيـانة المرأة ، ووفاء المرأة ،وغدر المرأة،وحيل المرأة ، وألاعيب المرأة . فالعنصر الساحر الجاذب فيها انماهو المرأة،والهيام بالمرأة،والجنون بالمرأة. أنظر الى دور الملاهي،والمراقص المنتشرة في ربوع البلاد ، تجد الجماهير تتدفق اليها تدفق السيل ليلا ونهارا، يحيون ليلهم ، فيميتون نهارهم،وما أفلت من الليل،اقتنصته اشراك النهار،فأين وقت العمل وزمن الانتاج لأمثال هؤلاء ؟ أليس هذا ضياعا وتبذيراً في أوقات الناس أو هو على الاقل شلل في حركات العمل والانتاج ، وهل الحياة الا الوقت والحركة،والزمن والعمل ؟ انك لو رفعت من هـذه الملاهي ومعاهدها وأدواتها وفنونها عنصر المرأة لاصابها الجزر والتراجع الى حد لا يؤبه له ولا يضير شيئا .

أليس من العجب أن تقع على رؤسنا هذه الكوارث ؟ ونعلم أن سببها المرأة في هجرها لبيتها ، وتمردها على وظيفتها الطبيعية في المنزل ، وانصرافها عن ذلك إلى شيء قصرت همها عليه ، وجعلته غرامها وشغلها الشاغل ، وهو إلهاؤها للناس ، واجتذابها لانظارهم ، واستلابها لألبابهم، تشغلهم بنفسها ، وما تعرضه عليهم من جمالها ومحاسنها، التي لم تخلق إلا لتكون مقصورة على الازواج ، ذوي الحق الشرعي فيها وحدهم ، وهذا مكان نفعها ، وحكمة وجودها ، فان رفع هذا القصر فتعلق بها غيرهم وسامها سواهم ، كان هذا مكان ضررها ، وسوء أثرها . ثم نعلم أن طريق الخلاص من هذه الـكوارث والطوام ، إنما هو شيء واحد هو قعود المرأة في بيتها والضن بنفسها وجمالها على غير زوجها ، وفي ذلك خيرها وخير الرجل ، وسعادتها وسعادة الرجل ، نعلم ذلك ونعرفه ، ثم لا نفعل ولا نردها عن هـذا الغي . بل أعجب شيء أن ترانا نستلذ المرض، ونستطيب مرتع الوباء، ممعنين في ذلك غير مكترثين بمصائب الحاضر ولا سوء المصير ، وأعجب من ذلك وأعجب أن ترانا نضل ونضلل ، فنندفع في هذه السبيل ، ونملأ الدنيا ترويجًا لها ودعاية إليهـا ،

ويسول لنا البله، وتزين لنا الحماقة، حسبان ذلك تمدنا وتقدما، ورقيا وحضارة، ونغرق في ذلك حتى ندخل إلى قلبها الغرور، فنشعرها بأنها جديرة بالرفعة والتقدم على الرجال . يقف خطيبنا فيبدأ بها قائلا : أيها السيدات ، أيها السادة . وهي تطمع بعد ذلك أن نحييها بتقبيل يدها ، وأن تتقدم على الرجال في دخول النوادي وتصدر المحافل . ما أسمجه وأسمجها ! وأسخفه وأسخفها ! وأحمقه وأحمقها ! وأجهله وأجهلها ! حينما يأخذ بذراعها أو تأخذهي بذراعه ، يماشيها وتماشيه جنبا إلى الجنب ، يحادثها ويناجيها أو تحادثه وتناجيه ، وما بهما من حاجة إلى الحديث والنجوى ، وإنما يفعلان ذلك تيها وخيلاء وإعجابا بأنفسهما ، يصعران خدهما للناس زهواً وافتخاراً بأنهما قد بلغا من الرقى والتهذيب والمدنية حد الكمال ، ثم ينظران إلى من أحصنه عقله ، وعصمه أدبه الفطري عن مثل هذه الحماقة المضحكة ، وهذا السفه المبكي ، نظرة استخفاف أو رثاء ، أو نظرة علو واستكبار ومباهاة . ويعلم الله وتشهد الحقيقة ، وينطق الواقع ، أن هذا العامّي أو هذه العامية المعتصمين بآداب الفطرة خير من هذين الاحمقين السفيهين وأهدى سبيلا .

يا أنصار هذا الفساد من المتفرنجين ، ما هذا التناقض منكم ؟ (ولن تكونوا دائما إلا متناقضين) تضع علوم الاجتماع نظرية العائلة (وهي على حق وصواب فيما وضعت) فتسمعون الناس ينادون بالعائلة ونظرية العائلة ، فتنادون بها معهم تلوكها ألسنتكم ، وتجري بها أقلامكم ، ثم تناقضون أنفسكم بفلسفتكم في المرأة ، وحقوق المرأة ، ونهوض المرأة ، وحرية المرأة ، فتهجم فلسفتكم هذه على المرأة في منزلها ، وتجذبها من ضبعها قائلة لها : أخرجي ، بهذا تدعون المنزل معطلا والعائلة مهملة ، فتهدمون العائلة ونظرية العائلة ... أروني امرأة تقوم بفروض وظيفتها الطبيعية في أعمال البيت وإدارة المنزل وشئون العائلة الداخلية ، تقوم بذلك جادة كما يجد الرجل في نصيبه من تكاليف الحياة (وجهاد الحياة فرض عين كلاهما فيه سواء ، وكلاهما فيه بحظه ونصيبه) ! أروني امرأة فقيرة أو غنية تقوم بفروض هذه الوظيفة وأعمالها جادة كما ينبغي ، ماذا يبقى منها للخارج سواء أكان في مجال

اللهو والمجون والتسكع في الشوارع والطرقات، أم في مجال الاعمال حرة أو حكومية
أما الفقيرة فماذا يبقى منها بعد أعمال الطبخ، والعجن، والخبز، والغسل، والكي، والخياطة
وترقيع الثياب، وتنظيف البيت، والرضاع، والتمريض، ومراقبة العيال، وأما الغنية
فان كانت لا تباشر ذلك بيدها ففرضها أن تشرف عليه كله، وعلى نفقات المنزل،
وتصرفات الخدم إشرافا دقيقا يضع كل شيء في موضعه، تقضي فيه بخبرتها
وتصرفه على أحسن الوجوه لفائدة المنزل والعائلة، فالاعمال هي هي عند الفقيرة
والغنية سواء، غير أن هذه تباشرها بيدها وهذه تباشرها بفكرها والاشراف على إدارتها

ما أكثر ما تتحدثون وتتشدقون بحرية المرأة! كلمة ترسلونها جوفاء مبهمة،
تجعلونها عماداً لفلسفتكم في المرأة وقضية المرأة: يا للحماقة والطيش والغباوة!!
نقول نعم، ان الحرية حق طبيعي لكل مخلوق حتى العبيد والاسرى (هل سمعتم)
فنحن واياكم في الاعتراف بها سواء، ولكن على أي وجه تريدونها؟ أتريدونها
مطلقة من كل قيد وحد، ليس في عالمنا الذي نعيش فيه شيء مطلق، لانه قد
وضع على تمازج الاضداد أرسل بعضها على بعض يقيد بعضها بعضا، ويحد بعضها
بعضا، وان يجيء خير الا عن طريق التحديد وسببه، وليس النظام في كل شيء
الا تحديداً، بل كل محاولات الانسان ومعالجته لاشياء الوجود انما هي تحديد:
العلم في نفسه تحديد، والغرض المقصود منه تحديد ـ الغرض من الصناعات تحديد
ومن التشريع تحديد، ومن القضاء تحديد، ومن الادارة تحديد، ومن الآداب
والاخلاق تحديد، ومن السياسات تحديد، فشئون الانسان كلها تحديد، ولن يكون
الاطلاق على الحقيقة الاصفة لشيء واحد هو مصدر الوجود وصانعه سبحانه وتعالى:
اذن فمبدأ التحديد مسلم به عند جميع البشر، وانما الشأن كل الشأن تعيين مواضع
الحدود، وأين يكون الحد في هذا الشيء مثلا؟ والذي يعين مواضع الحدود
ويحررها انما هو ميزان المصالح والمفاسد والمنافع والمضار، وقد اريناكم مكان
المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار في مسألة المرأة هذه فانظروا اذن كيف تحددون
يا هؤلاء الجاهلين بطبيعة المرأة. ان المرأة اذا اعطيت من الحرية فوق
المقدار والحد الطبيعي أساءت استعمالها فاتخذت منها مطية تركبها سريعة الى مثل

ستانلي باي وسائر المفاسد التي وصفناها ، وكذلك تتخذ من هذه الحرية وثاقا للرجل فتأسره ويقع في يدها ألعوبة تستعلي عليه، وتتحكم فيه بأهوائها، تحكم المستبد القاهر ، لا تترك له نصيباً من الحرية في شيء ، ويا ليتها ترضى بذلك ثمنا لراحته ، فينزل لها عن كل شيء ويستريح ، أو تحسن هي اساره شأن الآسر الكريم مع أسيره كلا ، بل لا يصير في يدها إلا معنًّى منغصا في كل شيء كأنما وكلت بتعذيبه، فان وجدت أحداً من الرجال دون هذا النصاب من الشقاء ، فاعلم أنه إنما خف شقاؤه بمقدار ما نقص من حرية امرأته، فهما كفتا ميزان متقابلتان ، إذا رجحت احداهما شالت الاخرى بمقدار ما رجحت أختها .

رجعنا إلى أصل الكلام وسياقه الاول فقد كان موضوعه هذا السؤال السابق وقد استتبع تقريره ما عرضنا من الابحاث والمسائل ، رجعنا إلى هذا السؤال لننظر في جوابه

الفصل الثالث

الجواب عن السؤال السابق

هذا الذي سمعت من الوصف والبيان ، سلكناه في شرح هذا السؤال السابق موجهاً إلى العقلاء والكتاب والعلماء ، وقلنا فيه : على أى مبدأ وعلى أي فلسفة وعلى أي معنى ، وبأي حق جاز لنا أن نغرر بأمتنا فندفعها في هذا التيار ، ونلقي بها إلى هذه التهلكة ، ونقذف بها إلى هذه الهاوية ؟ وها نحن أولاء نتولى الجواب عن هذا السؤال فنقول :

لا مبدأ ولا علم ولا معنى ولا فلسفة ، وإن أبيت إلا أن يكون ذلك عن مباديء وفلسفة ، فاعلم ان للباطل فلسفة كما أن للحق فلسفة ، ولولا ذلك ما التبس حق بباطل ، ولا خفي الباطل على احد ، ولا عمي عن الحق أحد

هذه يا صاح فلسفة المدنية المادية الشهوانية الاباحية ، لا فلسفة المدنية الروحية العفيفة الاخلاقية ، وهاتان المدنيتان متباينتان ، تناقض إحداهما الاخرى تناقض السلب والايجاب ، والضلال والهدى ، والصلاح والفساد ، والعمران والخراب، والموت والحياة ، والوجود والعدم

هذه ياصاح فلسفة المدنية البهيمية العمياء الفاجرة، الوالغة في الشهوات الجنسية، المنغمسة في حمأة الملذات والدناءات الحيوانية، وليست مدنية الانسانية الشريفة الفاضلة المهذبة، هذه مدنيـة الضلالات والاهواء، لا مدنية العـقل والهدى والاخلاق : الاولى تتبع في الانسان عنصره الجسماني المادي، والثانية تصدر عن عنصره الروحي العقلي، الاولى شيطان خبيث سفلي، والثانية ملك كريم علوي، الاولى مدنية الارض، والثانية مدنية السماء، وما كان الانسان انسانا عمر الارض وتهيأت له فيها أسباب الحياة إلا بهذه المدنية الثانية، وما يتهيأ للاولى وجود ولا بقاء إلا بأن تعيش على ما جمعته الثانية وتأكله : الثانية أسبق وجوداً فتنشىء وتجدد، وتبنى وتعمر، وتنتج وتجمع، والاولى طارئة عليها فتبطلها وتعيش على ماجمعت تأكله وتبذره وتبدده حتى تفنيه، وليس لها من ذاتها مادة حياة فتهلك هي أيضا كما أهلكت سابقتها فيبيد أهلوها ويقبرون في جوف التاريخ، ولا يبقى منهم الا أحاديثهم عبرة ومثلا للآخرين

هذه هي المدنية التي قبرت أمة الرومان، ومن قبلها الفرس واليونان: في أمم كثيرة من قبل ومن بعد، ومن بعدها حضارة الاسلام، وقد أصيبت بطاعونها الحضارة الحديثة في أوربا، ووليدتها أمريكا، ولن تزال بها حتى تهلكها كما أهلكت السابقين وما هي من الظالمين ببعيد (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، ان أخذه أليم شديد) تلك هي خاتمة أوربا وعاقبتها المحتومة، الا أن تثوب الى رشدها فتغير اتجاهها، وتتوب الى ربها، وذلك قانون الوجود، وسنة الله في الخلق (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

مثل هذه المدنية الملعونة كمثل المكروبات الوبائية، تصيب الجسم الحي الصحيح فتعيش وترتع فيه، وتنمو وتتكاثر على مادة حياته، ولا تزال تعيث فيه فساداً حتى تهلكه، ثم تهلك هي أيضا كما هلك

هذا ولسنا نعني بالمدنية الروحية اهمال هذا العنصر المادي الجسماني في الانسان: كلا، ان له عندها حسابا، وله فيها اعتراف بوجوده، ولكن على أن يكون تابعا للروح وخادما لها، مذعنا لسلطانها، خاضعا لأقضيتها، وفي هذا خيره وخيرها،

وحياته وحياتها ، وهل تنكر تبعية العنصر الخسيس للشريف ؟ أو هل تكون حياة الفرع الا تبعا للاصل ؟

وأما المدنية المادية فلا تقتصر على اهمال العنصر الروحي فحسب بل قد تجحد الروح ، ولا تعترف بوجودها ، وفي ذلك هلاكها حتما لا مرد له

اذا ألقيت نظرة على تاريخ الاجتماع البشري في أممه وشعوبه ، وتأملت نواميسه التي تسيره ، وسننه وقوانينه التي تدبره ، وتعرفت أسرار نشوء الأمم ومواليدها ، وتدرجها من الطفولة إلى الفتاء والشباب ، ثم الكهولة والاكتمال ، ثم طروء الشيخوخة يتلوها الضعف والانحلال ، لرأيت أنها في اجمالها تجري على سنة التداول بين هاتين المدنيتين ، احداهما تتولاه بالانشاء والتجديد والتعمير ، والاخرى تتولاه بالهدم والتخريب والتدمير ، تتداولانه على هذا المنوال تداول الخير والشر ، والحق والباطل ، والوجود والعدم ، واليك بيان الواقع من أمرهما

تهبط جرثومة روحية على أشلاء موات مبددة من بقايا الطوائف البشرية ، فما أن تمسها حتى يذهب عنها برد الموت ، وتشتعل فيها حرارة الحياة ، فتتكون منها الخلايا الأولى لهذا المولود الجديد الذي ستتمخض عنه أحشاء الوجود ، ولا تزال هذه الخلايا تنمو وتتكاثر وتتضام يشد بعضها بعضا كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ، فاذا هو أمة ناهضة تفتح عينها على الوجود ، ويطمح بصرها إلى المشارق والمغارب ، ثم لا تزال تنمو وتتكاثر وتمتد أقطارها حتي تشغل من الوجود حيزا بمقدار ما أودعته جرثومتها من قوة وحياة ، فتختط في حيزها هـذا خطة هذه المدنية الروحية ، دينها الروح ، ومذهبها الانسانية ، وعبادتها الفضيلة ، وربها الله . رائدها الحكمة ، وهاديها البصيرة ، ومنظارها العقل ، وأعوانها وأدواتها سائر مواهب الانسان : تستوعب في الحساب جميع عناصر الانسان وقواه روحية ومادية ، وتتعهدها بالانعاش ، لا تنسى شيئا ، ولا تهمل شيئا ، تستغلها جميعا ، وتستخدمها فيما خلقت له ، كل في حيزه ومكانه من الطبيعة على الوزن والتقدير بميزان الحق والعدل والمصلحة والنظام ، لا يطغى شيء على شيء ، ولا يبطل شيء منها شيئا

آخر ، لانها تعلم أن شيئا منها لم يخلق عبثا ، وانما خلق لمصلحة يؤديها ، ولكن بحد ومقدار دون جموح وطغيان ، لأن غايتها تقويم الانسانية ، وسعادة الانسان

تأخذ هذه المدنية كما قلنا في الانشاء والتجديد ، والبناء والتعمير، والانتاج والجمع ، تستغل مرافق الحياة وأشياء الوجود جميعا في الارض وفي السماء ، في البر وفي البحر، وفي الماء وفي الهواء ، تستخرج من الارض كنوزها وثمراتها ، وتستنزل من السماء خيراتها وبركاتها ، فالناس منها في أرغد عيش ، غير أنهم لا يفتتنون به ولا يتكالبون عليه ، ولا يتشاحون فيه مشاحة التناحر والتهلكة، ولا يعبدونه من دون الله ، بل هم اخوان متراحمون ، وأخلاء متعاونون ، في وجوه الخير ينفقون ، وإلى أعمال البر يتسابقون

تدأب هذه المدنية في جهادها هذا جادة غير وانية ، منصرفة عن الهزل إلى الجد ، وعن اللهو إلى الكد والعمل ، زاهدة في الشهوات ، متجافية عن الملذات ، لا تنال من ذلك شيئا إلا بمقدار ما يقيمها ، ولا يصرفها عما ندبت اليه وانتدبت هي له ، ولا يقعد بها عما تصبو اليه من مقامات الرفعة ، ومباءات الشرف ، ومنازل العز ، ومراتب الكمال : لا تحسبن هذه المدنية خالية من اللذة والانس والبهجة والنعيم — كلا — بل انها لتجد من لذة الكمال الروحي ، ونعيم الجمال المعنوي ، وبهجة الانس الالهي ما لا تعد لذائذ الشهوات المادية وبهجتها في جانبه إلا دنسا ورجسا ، يقذرونه ويتنزهون عنه ، حتي ليقول قائلهم: نحن في لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف

بل لقد يبلغ هذا النعيم والبهجة حدا تتبدل فيه حقائق الآلام فتنقلب إلى نعيم يستعذب ، ويسعى اليه ويطلب ، ويؤسف على فواته ولو كان ذلك هو الموت الزؤام . ألم تسمع عن أبناء هذه المدنية انه قد كان منهم من كان يتمنى الموت شهيداً يطلبه ويتحراه في مظانه، ويتعرض له في مواطنه، فاذا ماخر صريعا انشأ يتبسم ضاحكا مستبشراً .

ولست ابالى حين أُقتل مسلما — علي أى جنب كان في الله مصرعي

***

فليتك تحلو والحيـاة مريرة ... وليتك ترضي والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالـكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

اهل هذه المدنية لهم لهو شريف فيه شعر، وموسيقي، واغاني، وأناشيد، وجمال وفن إلخ ولكنهما من عالم آخر أين منه هذه الاسماء في عالم المادة عند عبادها ومؤلهيها ونقول على الاجمال إن هذه المدنية وافية حقا بجميع خصائص الانسـان وغرائزه، مستوعبة لجميع منازعه وعناصر فطرته، لا يضيع منه فيها شيء بل كل شيء فيه له فيها حظ يمثل فيها تمثيلا يناسبه، اعنى أن يكون بوزن وقدر وحساب ونظام فهي مشتقة من جبلة الانسان وصورة مطابقة لفطرته، ولهذا تسمي مدنية الفطرة أو دين الفطرة، وكلمة الفطرة في لسان الدين ترادف كلمة الطبيعة في لغة العلم، فاين تكون منها نقيضتها وعدوتها الحمقاء المخبولة التي تأخذ من الانسان شطره المادي وتجحد ما عداه وتبطله؟ وهل يكون شطر الشيء حقيقته؟ وهل يقتصر من شيء على شطر دون الآخر فلا يكون الا هالـكا؟ لا تنس أصل الحديث وسياق الـكلام فلنعد بك اليه فنقول

تظل هذه المدنية على هذه الحال تغدق على أهلها خيراتها وثمراتها، وتمنحهم مزاياها وبركاتها، ما داموا متعلقين بها، مخلصين لها، مستبصرين بهديها، معتصمين بحبلها، إلى أن ينحرفوا عنها، أو يحرفوها عن مواضعها، أو يخونوا عهودها، ميلا الى الرفاهية، وجنوحا الى الدعة والسكون، واغترارا بكثرة ما في ايديهم من عرض الدنيا، وافتتانا بما عندهم منها من متاع، يرغبون أن يستمتعوا بما جمعوا، ويأكلوا ما ادخروا، وينعموا بما غنموا، وهم من ذلك في كثرة تفوت العد، ولا يبلغها الاحصاء والحساب، مما أنتجته هذه المدنية الصالحة، وعندئذ يجيء دور ضـدها وعدوتها المدنية المادية الملعونة، مدنية الفتنة والضلالة والخراب المحتوم، فيها تتقلب القلوب والابصار، وفيها تعمي البصائر، وتتبدل الحقائق، حتي تستحيل وتنعكس الى اضدادها، وتعاند الاسماء مسمياتها، فتنفر عنها وتلتصق بنقائضها: الضلال هدي، والباطل حق، والرذيلة فضيلة، والفاحشة لذة، والحياء ضعف، والعفة حماقة، والقناعة

حرمان : الجحود علم، والشك ذكاء، والالحاد فلسفة، والعقيدة مضلة، والايمان خرافة، والطبيعة رب، والمادة إله له الملك والسلطان : الهدم بناء، والتخريب تجديد، والفساد اصلاح، والتهتك تمدن، والهمجية حضارة، والاباحة حرية، والشيوعية شريعة ونظام : التدين عته، والتقى بله، والتنسك سفه، والشرائع تحكم، والآداب قيود، والروح وهم، والانسان قرد أو حيوان : الطيش رقي، والرزانة جمود، والدفاع عن الفضائل رجعية، والجري في اعقاب الشهوات متاع الانسان : العبث بالمرأة متاع، والمحافظة عليها ظلم لها وضياع، النساء سيدات، والرجال خول لهن وعبدان، بهذه التعاليم جاء انجيل القرن العشرين، وهو رب العالمين

هذه المدنية الملعونة هي في حقيقتها ملحدة فاجرة، وقد طرقت العالم مراراً كثيرة بعدد أمم التاريخ التي ابادتها وقبرتها، وقد عهدناها فيما مضي كانت تقتصر على اعلان الفواحش واباحة المنكرات المنهكة للامم التي تبتلي بها، ولكن بأنواع من الحيل وأساليب من التزيين والمغالطة، وما كانت تجتريء على التفوه بالالحاد إلا في بعض الاحيان من طريق اللحن والتورية، والهمس في بعض الآذان في خفية وحذر، لان الانسان الماضي مهما بلغ به الفساد ما كان يقبل التنازل عن العقيدة وإن حرفها وشوهها، وما رأيناها اجترأت على اعلان الالحاد صريحا وجحود الايمان علانية، وشن الغارة عليه بكل سبيل، إلا في هذا العهد الاخير من عهود الانسانية وأدوارها، وهو هذا العهد الحاضر الذي نكبت به الانسانية منذ نهضة أوربا التي نهضتها على غير هدي، فعنيت بتنبيه بعض قوى الانسان وعناصره فأنعشتها ونشطتها إلى أبعد مدى، وأهملت جوهره الروحي وهو الذي يمسك سائر قواه، بل هو حقيقته ومعناه، بل قتلته قتلا على عمد منها وقصد، ولو كانت أوربا قد وفقت في نهضتها هذه إلى استيعاب كل ما اشتملت عليه فطرة الانسان من جوهره وسائر قواه وعناصره التي تدخل في تركيب طبيعته وجبلته، وعنيت باصلاحها جميعاً، وبتنبيهها وإنعاشها وتنشيطها جميعا، على أقدارها ومواضعها من طبيعته، وصرفت إلى ذلك مثل هذه الهمة والعناية التي أنفقتها في شطره الأدني لكان الانسان اليوم شيئاً لا تبلغه الظنون، ولكان دونه السبرمان الذي يرسمه لها الخيال

وتصوره لها الاحلام : واختطت للوصول الى سبرمانها هذا خططا من الوحشية وأشد فظائع الاجرام

أقبلت هذه المدنية في هذا الدور جريئة بذيئة وقحة متهورة : أقبلت في تيه وزهو و كبرياء ، وطلعت على الناس في صخب ولغط ، ولها صياح وجلبة ، ومعها منطق وجدل وسفسطة ، ولها دعاوى وفلسفة وكلام :

جاءت بسجلات النكبات والمصائب الانسانيـة ونشرتها تقرأها صحيفة صحيفة وتبكي وتعول ، وتنوح وتولول ، وتندب الانسان وحظ الانسان ، تبكي بكاء تنفطر له القلوب، وتنشق له المرائر ، متسائلة من اقترف هذه الآثام وجر هذه الجرائر ، ثم تتدرج من ذلك إلى أن تعلن في الناس حمل التبعة في ذلك على العقيدة الروحية ، وفلسفتها الدينية ، وسياستها التقليدية ، مدعية انها انما جاءت بدور الانقاذ وساعة الفرج: جاءت بتحرير الانسان من الاسر والعبودية لاوهام العقائد التى جنت عليه هذه الجنايات ، وبزعم انها سترفع عنه هذه الكوارث ، وتحصنه من هذه المصائب ، وتنشيء له من الارض جنة نعيم

ملأت الدنيا بهذا كتابة وخطابة، ونشراً ، وتأليفاً غص به فراغ الدنيا بما رحبت ، ولها في ذلك لسان ذلق ، وبيان ساحر ، وتهكم لاذع ، ومنطق خادع واستهواء يزلزل العقول، ويعبث بالالباب .. ولقد وجدت أول أمرها من فساد رجال الدين في بلادها أيام سلطانهم وسطوتهم الماضية وقـد ساموا الناس من ألوان العذاب ما يفزع الاجنة في بطون امهاتها ، مادة للمراء والجدل

كم شرهوا إلى أموالهم ، وكم سفكوا من دمائهم ، وكم ارتكبوا من الجرائم الوحشية ، والفظائع الجهنمية ، مما لا يأتي عليه الوصف والتصوير . لقد وجـدت من ذلك مادة لتضليلها لا ينضب معينها على مدي الزمان ، وقد سهل ذلك لها طريق الوصول إلى إقناع الناس بدعاويها وإيمانهم بتبشيرها ، فأسلموا اليها قيادهم ، وتم لها ما أرادت فخلا لها الجو ، وانفردت في الارض بالملك والسلطان

هاهى قد انفردت بقيادة الانسانية نحو ثلاثة قرون لتحقق لهم وعودها فماذا كان ؟ وعدتهم أن ترقي بهم إلى السماء فأنزلتهم إلى هاوية سحيقة مالها من قرار ، وعدتهم أن تخلق لهم من الارض جنة نعيم ، فدفعتهم إلى النيران تتلظى بهم في أطباق

الجحيم، وعدتهم أن ترفع عنهم المصائب والنكبات والآلام ،فكانت هي نفسها عين المصائب والنكبات والآلام ، أفاستْ في جميع وعودها فكانت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، بل ردت الانسانية إلى وحشية ، وتركت الحياة جحيما تفور بأهلها ،كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق

بهذا شقيت أوربا وأشقت معها أمم العالم أجمعين ، وأصبح الناس من نتائج مدنيتها وآثارها في أمر مريج ، ولم يغن عنها شيئا كل ما أنتجته من عجائب الصناعة ، وبدائع الاختراع . فهذا كله على شدة إعجابها وتبجحها به لا يعدو أن يكون واحدة من اثنتين : إما أن تكون أدوات فتك وعذاب وتخريب وتدمير أعدت للمذابح البشرية ، تساق الامم اليها قطعانا وأسرابا للحرق والخنق ، والصعق والمحق ، والابادة والاعدام : ملأت بها البر والبحر ، في قاعه وسطحه ، والسهل والجبل ، وأجواز الفضاء ،تنظر اليها الانسانية في رجفة وجزع ،وذعر وفزع، نظر الذبيحة إلى مدية الجازر ،وترقبها البشرية ارتقاب المحكوم عليه بالاعدام ليومه المحتوم

وإما أن تكون أشياء من متاع الحياة وأسباب العيش ، يشقى الناس بالتكالب عليها في حرب مستعرة ،يذكيها ناموس (تنازع البقاء) في قسوته المادية ، لا يخفف من جحيمها برد من نسيم القناعة الروحية : المحرومون معذبون ، وأهل الجدة والغنى لا يشبعون ، يكويهم جميعاً حريق الجوع ، وتلذع أحشاءهم نيران النهم

وأعجب شيء أن ترى هذه المدنية في وطنيها ــ الاوربي والامريكي ــ لا تقنع بما تخرجه بلادها من الارزاق ومادة العيش ، بل تراها تتلصص على ما في أيدى الناس أو تختطفه اختطافا، حتى لتجبي اليها خزائن الدنيا، وتستنزف لها ثروة العالم ، ثم ها أنت تراها على ذلك فقيرة مملقة ،تشكو الجوع والفاقة و نضوب الخزائن ،و كثرة العاطلين، وهي تعد فيها بالملايين ، فسبحانك اللهم قيوم السموات والارض ، هذه احدى آياتك الباهرة ، ومظهر من مظاهر سلطانك العظيم ، من وجدك لم يفقد شيئا ، ومن فقدك فقد فقدَ كل شيء ، ولن يقوم في الوجود شيء إلا بك ، فاذا انقطع عنك فقد صار الي الفساد والعدم : (الله نور السموات والارض : ان الله يمسك السموات

والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حليما غفورا)

لا تقل ان الناس قد مسهم العذاب ، ولا بسهم الشقاء أيضا في عهد المدنية الدينية ، وها أنت قد ألمعت الى فظائع رجال الدين ، وما ساموا الناس من سوء العذاب : أليس هذا ايضا من نتائج العقيدة والايمان والدين؟ نقول في الجواب : كلا ، فرق بين ما يتبع طبيعة الشيء تبعية ذاتية كتبعية الفرع للاصل ، والنتيجة للمقدمات ، والاثر للمؤثر ، والمعلول لعلته ، فهذه تبعية لا تقبل الانفكاك بحال – فرق بين هذه وبين ما يتبع الشيء لعارض طرأ عليه وليس منه : هذا سم ناقع مهلك ، وهذا طعام جيد صالح ، فيه عناصر الغذاء ومادة الحياة ، ولكنه قد دس فيه سم قاتل : كل منهما قاتل ، ولكن اذا أخذت في تعليل القتل والهلاك : فحين ما تلتمس العلة في الاول هل تجدها في غير طبيعته السمية ؟ وحين ما تلتمسها في الثاني فأين تجدها ؟ هل تجدها في طبيعة الطعام ، أم تجدها في طبيعة السم الذي دس فيه ؟ وكذلك قل : هذا طعام جيد صالح يجري في جسم آكله صحة وعافية ، وحياة وقوة ونشاطا ، أعرض عنه صاحبه وهو عنده حاضر لديه ، وتهافت على أكل المواد العفنة الضارة المؤذية ، فأصابه المرض وأنهك قواه ، فهل سبب ذلك هذا الطعام الجيد الذي أعرض عنه ، أم هذه المواد الفاسدة التى تهافت عليها ؟

تفسير المثل الاول أن العقيدة الايمانية مادام جوهرها نقياً خالياً من الشوائب المفسدة ، فلن يصدر عنها إلا الخير وصالح الاثر ، إذ أن ذلك هو مقتضى طبيعتها الذي لا ينفك عنها ولا تنفك هي عنه ، ولن يكون غير ذلك إلا إذا عبث الناس بها فحرفوها وبدلوها بأهوائهم ، وخلطوها بأوهامهم ، فما يصيبهم حينئذ من الشرور إنما الذنب فيه عليهم وحدهم ، وهي منه براء ، وإنما العلة فيه هذا الذي دسوه فيها وخلطوه بها من أذى

وتفسير المثل الثاني : ان هذه العقيدة من شأنها وطبيعتها أن تعود على الناس بالخير والصلاح في كل شؤنهم ماداموا معتصمين بها ، قائمين بحقها ، فما ذنبها إذا أعرضوا عنها ، وهزأوا بها ، ومالوا الى الشهوات والمنكرات فانغمسوا في حمأتها ، وأخلدوا إلى طينتها (فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)

وإذن فالمسلك المعقول في علاج الامم التى أخلت بعقيدتها فأصابها الشر والفساد: المسلك المعقول لمن أراد لها الانقاذ ، وسعى لها في الخلاص : إنما هو الاصلاح — وليس الاصلاح بأن تقتل هذه العقيدة وهي خير لاذنب لها ولا شر منها ثم تستبدل بها ضدها وهو شر لا خير فيه : هذا هو منتهى الحمق والبلاهة ، وإنما الاصلاح أن تعمد اليها فتنقيها من الشوائب ، وتطرد عنها الدخيل ، أو تحمل الناس على الرجوع اليها ، والاعتصام بها ، فتعود سيرتها الاولى ، وتصدر عنها آثارها الصالحة فتتدفق في جداولها الحياة نقية طاهرة

وكذلك لا تسل أيضا كيف نعيب على المدنية المادية إفلاسها ، وقد فشلت سابقتها من قبلها ؟ فجوابنا عن هذا السؤال هو جوابنا عن السؤال السابق بعينه: فافلاس المادية إنما هو معلول لذاتها وطبيعتها ، وافلاس الروحية إنما كان من أجل إخلال ذويها بها ، فان كفوا عن هذا الاخلال صلحت وعادت على الناس بالخير والصلاح

لعلك بعد هذا قد فطنت إلى مقدار الخبط والضلال البعيد الذي وقع فيه رجال النهضة الاوربية الاولون ، وتابعهم عليه الآخرون ، وعرفت فداحة ما جنوه على أممهم وعلى الناس من الويلات والشرور المستطيرة في نواحي العالم . فما ندري أكانوا عمياً ضالين أم كانوا شياطين مضللين ؟ وقفوا أنفسهم على نكران الحق ، ومعاندة الحقائق عامدين عالمين ، جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا على السلف الاولين

ما ندري وان أمرهم لعجيب ، لقد كان المعقول وقد ابتلوا بفساد رجال الدين ، وفساد العقيدة في زمانهم ، أن يعنوا بدراسة هذه القضية ، وهى قضية البشرية جمعاء ، بل قضية الكون والوجود بأسره ، دراسة نقد وتمحيص وتحليل يرد الاشياء إلى أصولها ، ويقرن المسببات إلى أسبابها ، ويربط المعلولات بعللها ، مستبصرين بمنطق العقل ، مستهدين بنور البصيرة ، وما كانت الحقيقة لتعتاص عليهم ، وهم يزعمون لأنفسهم أنهم أساطين العلم ، وأقطاب الفلسفة ، بل كانت تطلع عليهم بيضاء سافرة غير محجبة . وما أجدرهم إذ ذاك أن يقصروا حربهم

وجهادهم على عدوهم وحده ، وهو رجال الدين الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد ، حتى يقصوهم عن هذه الزعامة الكاذبة المغتصبة ، ويستنقذوا منهم هذه العقيدة المظلومة ، يفحصونها ويحللونها ويسبرون غورها، ويتعرفون مظاهرها في جميع النبوات الماضية ، حتى يميزوا بين حقها وباطلها ، وأصيلها ودخيلها ، ويجلوا عنها صدأ القرون الخالية ، ثم يعلنوها للناس بيضاء نقية من كل شوب ، ويحملوهم عليها حملا يصرفون اليه جهوداً مثل التي صرفوها إلى الناحية الاخرى

وقد كان الجهاد في سبيل إصلاحها، أيسر من منازلتها في حرب الجحود والهدم والابادة ، ولكنهم لم يفعلوا ، ولو أنهم فعلوا لكانت الدنيا اليوم غير الدنيا ، ولتحققت مدنية الانسانية الفاضلة ، مدنية العلم والحكمة والقوة، والرحمة والسلام، يحيا الناس فيها أبراراً أخياراً ، سعداء هانئين ، آمنين مطمئنين، وأقوياء أعزاء، ولكن هادئين وادعين، وأخوة متراحمين، لا أعداء متحاربين، وأخلاء متعاونين متناصرين، لا وحوشاً متواثبين مفترسين، يعيشون في نعيم الروح، ومتاع المادة، غير متقاطعين فيه ، ولا معذبين به، ولا متحاسدين عليه :

في هذه المدنية التي هي صورة صادقة للانسان كاملة غير مبتورة، ولا مشوهة ولا منقوصة، بل تحتوي جميع العناصر التي تدخل في تكوين بنية الانسان لا يغيب منها شيء ، ولا يضيع منها شيء ، بل مثلت كلها فيه تمثيلا تاما منظما : في هذه المدنية التي هذه صورتها ينشط العنصران الاصليان اللذان جبلت عليهما، وركبت منهما فطرة الانسان، واللذان يحملان جميع خصائصه وغرائزه ومواهبه ، ينشطان جميعا بكل ما يحملانه فتصدر عن كل منهما آثاره على أقصى ما يمكن من الانتاج، متمازجين متوافقين، غير متعاندين ولا متنافرين، وهذا هو منتهى كمال الانسان ، ورقي الانسان ، وسعادة الانسان

لعلك تقول أيضا : وما الذي حدا بهؤلاء القادة وهم أولو علم، وذوو ذكاء يعرفون بهما ولا يمتري فيهما ؟ ما الذي حدا بهؤلاء إلى أن يستحبوا العمى على الهدى، ويؤثروا الغي على الرشد ، والباطل على الحق، ويعدلوا عن الحكمة إلى هذا السفه ؟؟ نجيبك على هذا جواب حق، ومقال صدق ، إذ أن هذا هو موضع الشبهة، ومكان الاغترار بأمثال هؤلاء الذين طار صيتهم في العالمين : نقول ان كشف هذا السر

يحتاج إلى شرح ظاهرة نفسية (سيكولوجية) وهي ان أهواء النفس وانفعالاتها إذا اشتدت ، وعاداتها إذا رسخت ، وصبغتها إذا ثبتت ؛ فقد تخالط النظر والتأمل حتى تنحدر إلى مجرى التفكير العقلى ، فيفرزها على صورة قضايا عقلية ، وأقيسة منطقية ، وما هي في الحقيقة قضاء العقل ولا منطقه ، وانما هي صورة للحال النفسية ، وحكاية لها ، برزت في شكل منطقي ، ونسق عقلي ، وهذه هي مزلة الفلاسفة ، ومكان العيب والنقص في كثير منهم ، بل لا بنجو منها إلا أفذاذ قلائل ، قد بلغوا من الرياضة العقلية في تحرير عقولهم ، واستقلالهم في تفكيرهم عن كل مؤثر مبلغا عظيما يقصر عنه الجماهير منهم، وتأثير هذه الحال النفسية يخفى أشد خفاء حتي انها لتخادع الفيلسوف فتخدعه، ولا يختلسه من نفسه مثلها، فيخيل اليه انه مستقل وما هو بمستقل ، ويرى أنه خلو من المؤثرات وإنما هو في الحقية مستهوي من حيث لا يدري ولا يفطن ، ويوقن أنه قد أدرك الحقيقة جلية اذ يراها ماثلة في خياله مثل الشمس جلاء وانكشافا لا يمتري فيها حتي كأنه ينظرها بعين البصر ، ولقد صدق ولكنه لا يرى الحقيقة الواقعة ، وإنما يرى صورة نفسه مخدوعا

هذا هو السبب في زيغ قادة النهضة الاوربية وفلاسفتها عن الحقيقة ، على أحسن الظنين بهم إذا افترضتهم مخلصين ، ولم تفترضهم مضللين عامدين عالمين . وبيان ذلك ان رجال الدين فيهم قد ضجت من شرورهم السماء ، وزلزلت الارض بفظائعهم زلزالا شديدا ، زاغت به الابصار ، وبلغت الروح الحناجر ، وقال الناس أين المفر فما يهتدون اليه ، وأين الوزر فما يجدونه ، حتي ضاقت عليهم الارض ، وأظلمت في وجوههم الدنيا وأخذهم الذعر والفزع من كل مكان ، وكان أشد الناس ابتلاء بهم واكتواء بنيرانهم هؤلاء الفلاسفة، حتي اصطبغت بهذه المظالم وآلامها نفوسهم أشد اصطباغ ، فتأثروا بذلك فيما وضعوه من الاصول ، وما أنتجته أفكارهم من نظريات وفلسفات ، أو بلغ بهم الحنق وحب الانتقام والاخذ بالثار ، أن يهدموا على رؤس أعدائهم حصونهم ، ويدكوا معاقلهم ، ويأخذوا عليهم كل سبيل ، فعل الغاضب الحانق . لا يبالي ما فعل في شفاء غيظه وان هلك

الناس وهلك هو معهم على حد المثل «إذا مت ظمآنا فلانزل القطر» وقول الآخر:

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

وهذا هو منطق الانتحار؛ وما كان منطق الانتحار ليصلح منطق الحياة

الفصل الرابع

(مساواة المرأة للرجل)

في أي شيء تساوى المرأة الرجل؟ هذه مسألة تتعلق بتشكيل المجتمع وأوضاعه و بيان ماهو افضلها: ما هو الوضع المطابق للفطرة، الموافق للطبيعة، الملائم لما ترشد اليه التجربة، ويقضي به الواقع من تاريخ الانسان، ماضيه وحاضره؟

قبل أن نفيض في هذا البحث لا بد من شرح طبيعة المرأة وبيان حقيقتها لنسترشد بذلك في تعيين الوضع الذي يجب أن تكون عليه في تشكيل المجتمع تشكيلا طبيعيا: نريد ذلك على أن يكون المنطق الذي نستهدى به في ذلك منطق الطبيعة والعقل، مؤيداً بالتجربة والواقع والمصلحة، لا منطق التقليد، وحب الشهوات، ونزعات الفوضي والاباحة المتمردة

استفتوا الطبيعة فهي تفتيكم، هذا ذكر، وهذه انثي، تلدهما امرأة واحدة وينحدران من صلب رجل واحد، وربما كانا توأمين اتحدا في جميع أسباب التكوين ما عدا سر الذكورة والانوثة، فيجيء احدهما عظيم الخلقة صلب العظام ناشزها، قوي العضلات، ذكي الفؤاد، قوى العقل، شجاعا، مقداما، خشنا، ذا شعر شائك يملأ وجهه وصدره، وذراعيه، ورجليه، كأنما هو الاسد خشونة وافتراساً، وتجيء الأخرى مخلوقا لطيفا ظريفاً ذا سذاجة وغرارة، رخيم الصوت، حلو الحديث، رقيق الكلام، لين الاعضاء، ناعم الملمس، جميل المحيا، وسيم الطلعة، بهيج المنظر، كأنما هو الزهرة تفتحت عنها الاكمام، ثم يختلفان فوق ذلك في اعضاء الذكورة والانوثة اختلافا عظيما، ينبئك بانهما خلقان متباينان تباينا عظيما، ويطرد امرهما على ذلك اطراداً، أليس لهذا معنى؟ ألا يرشد هذا إلى شيء ولا يشير إلى شيء؟

الناس ازاء الوجود فريقان: إلهيون وماديون، الاولون يستهدون بحكمة الخالق سبحانه، والآخرون يستهدون بالطبيعة ويبرئونها من الاسراف،

والتقصير والانحراف ، أو يفرضونها عمياء ، ولكن يرون أن لا حيلة إلا في الاذعان للواقع من امرها ، ومطابقة الانسان بين نفسه وبينها فكلاهما ، في هذا الموقف سواء ، لابد من الاستهداء بحكمة الخالق ، أو الاذعان لمطابقة الطبيعة على كلا الافتراضين ازاء هذا التباين بين الذكر والانثي ، فسواء عندنا أأمنتم بحكمة الخالق أو جحدتموها ، ودنتم بالطبيعة ، فان الطبيعة عندنا انما هي صنع الله دبرها بعلمه وخبرته ، وبث فيها حكمته ، فكلها علم وبيان ، وكلها حكمة ، وكلها هداية ، فانظر كيف تقرأ هذا الفصل من كتاب الطبيعة الذى خطته يد الله الحكيم ، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (انا كل شيء خلقناه بقدر) (وما ننزله الا بقدر معلوم)

ألست تري أن هذين الكائنين قد رشحتهما الطبيعة وهيأتهما الفطرة كلا منهما لوظيفة تباين وظيفة الآخر في الحياة ، وكلتا الوظيفتين هما ركنا الحياة يقتسمانها اقتساما ، ويختص كل منهما بواحدة هاتين الوظيفتين اختصاصاً طبيعياً لا يصلح أحدهما لما يصلح له الآخر ، بلي ، بلى ، وتبارك الله احسن الخالقين

لا بد من العائلة في تشكيل المجتمع إذا اردناه علي مقتضي الحكمة وقانون الطبيعة ، ما هي العائلة ، العائلة صورة مصغرة للاجتماع ، أو هي اجتماع صغير ، وبداية تكوينها اجتماع الرجل والمرأة

ما هي وظيفة العائلة ؟ وظيفتها توليد النسل وكفالته وتغذيته وحمايته حتى يستقل بنفسه ، هل تتكون العائلة اتفاقا أم بناموس وسائق طبيعي ؟

نعيد هنا كلمة ما قدمناه في الفصل الاول نصها هكذا : فانظر إلى آثار حكمة الله في تدبير شؤن خلقه : أودع الله جبلة الذكر والانثي غريزة هذا الميل الجنسي ناراً محتدمة لا يطفيء لهبها إلا الاقتران ، ليقودهما بذلك إلى هذا الاقتران ، ولولاه ماحنت امرأة إلى رجل ، ولا عطف رجل على امرأة ، بل لكان يفر منها ، ويثقل عليه ظلها : وقد جعل الله من رقة المرأة وجمالها ، وسائر صفات الانوثة فيها ، مايغري هذا الرجل الخشن الأبي العصي ، ويقوي نزعة هذا الميل فيه ، كما جعل من قوته وصلابته مايغرى المرأة أيضا فتجد فيه مايناسب نهم هذه الغريزة وحدتها . وجعل أيضاً من ضعفها واستشعارها الحاجة إلي الكفيل مايسوقها اليه سوقا حثيثا لتقترن به ، فاذا ماتم هذا الاقتران وأنتج نتيجته فجاء هذا النسل الذي يحتاج إلي حضانتها

وهو بدونها هالك لامحالة ، ساقها الله إلى تحمل هذه الأعباء الثقيلة بدافع هذه الرحمة المتوقدة في أحشائها ، وبهذا الحنو والحنان الهائج الذى لايسكن اضطرابه إلا بعطفهما على هذا المولود الضعيف ، وتفانيهما في حياطته الخ - وقد تكفل هذا الفصل الاول ببيان العوامل الطبيعية في تكوين العائلة على أسلوب تحليلي ينتهي بك إلى ضرورة الزواج في تكوين العائلة بقصر المرأة على الرجل ، فارجع اليه إن لم تكن على ذكر منه

هذا الاجتماع الصغير الذى نسميه العائلة ، إنما يقوم على تعاون الرجل والمرأة في القيام بأعبائها ، وأسباب الحياة وشئونها . فما هي حاجات العائلة وشئونها في الحياة ؟ هى على كثرتها ترجع إلى نوعين : أعمال داخلية ، وأعمال خارجية . الاولى شاقة شديدة مرهقة ، تحتاج إلى قوة وصبر وجلد عظيم في مكافحة الطبيعة ، ومعاناة شدائدها ، واحتمال قسوتها ، لتحصيل مادة العيش ، وأسباب الرزق ، وأغذية العائلة ومنافعها . والثانية دون ذلك بكثير ، هي القيام بوظائف الامومة ، وأعمال البيت ، ورعاية الاطفال

هاتان وظيفتان مختلفتان تستدعى كل واحدة منهما قيما يناسبها وتناسبه ، أمامك الرجل والمرأة ، فأيهما تسند اليه الوظيفة الاولى ؟ وأيهما تسند اليه الثانية ؟ استفت الطبيعة ، هل تجد عندها غير جواب واحد ، الرجل للأولى ، والمرأة للثانية ، ولا بد من ذلك لا يمكن غيره ؟ فان عكست فطبيعة الرجل تأبى أن يكون أُما ، وتعطلت مواهبه التي هي أكبر من البيت ، ولا يغني أحد غيره في الاعمال الخارجية غناءه . وطبيعة المرأة تفسد إذا عرضتها للأعمال الخارجية ، تذهب بجمالها ، وتبطل خصائص أنوثتها ، ثم هي فوق ذلك تضعف عن احتمالها ، وتعجز عن القيام بها ، فلا هي على ذلك رجل ولا هي امرأة ، بل هي كما قال بعض فلاسفة الافرنج : جنس ثالث . وأقول ليس في الطبيعة غير جنسين اثنين : رجل وامرأة ، فهذا الثالث فاسد تنكره الطبيعة ولا تعرفه ، وما أنكرت الطبيعة شيئاً إلا أن يكون شرا وفساداً ، فهل كفاك هذا في معرفة السر والحكمة في اختلاف طبيعتي الرجل والمرأة ، واختلاف خصائصهما ، ليناسب كل منهما ما أعد له وما خلق من أجله؟

الرجل مخلوق خشن ، قوي ، شجاع ، وذلك يناسب وظيفته كما وصفناها ، والمرأة مخلوق لطيف ، جميل ، جذاب ، يستهوى الرجل ويستبيه ، وذلك يناسب وظيفتها كما قلنا

وتلخيص ذلك وحاصله : المرأة للبيت ، والرجل للخارج . فما هي المساواة التي تنشدونها وفيم تكون ؟ إن هـذا الوضع الطبيعي للرجل والمرأة في العائلة يجب أن يأخذ مقتضاه ، ويصل إلى آخر مداه

ومعنى ذلك أن يكون قاعدة للمجتمع توزع على اصـله ومقتضاه وظائف الحياة ، المرأة للبيت واعماله تستنفد قواها ، ولا تصلح لغـيره ، فحسبها أن تقوم بها ، والرجل للاعمال الخارجية ، فعلي الرجل تغذيتها والقيام بجميع حاجاتها

العائلة اجتماع صغير من عضوين احدهما كافل والثاني مكفول ، فأيهما يكون رئيس هذا الاجتماع ، الجواب بديهي طبيعي ، ذلك هو العضو الاقوي الكافل وهو الرجل ، للرئيس حق الطاعة على المرؤوس ، فعلى المرأة أن تكون مطيعة للرجل ، تأمل حكمة القرآن في ذلك وقد جاءت وفق الطبيعة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) .

شؤن الحياة التى تفترض مجالا للبحث في المساواة ترجع إلى ثلاثة أنواع : ما كان من قبيل الحرية الشخصية مثل حق الملك والتصرف فيه بكافة وجوه التصرفات ، وحق الدخول في عقد الزواج ونحو ذلك ، وما كان من قبيل العمل في تحصيل العيش والصناعات الشاقة خارج البيت ، وما كان من نوع الوظائف العامة في الاشراف علي شؤن الاجتماع وادارته مثل ولايات الحكم والمجالس النيابية وانتخاباتها والقضاء والادارة الخ ، أما الاول فهي فيه مساوية للرجل مساواة تامة لا يحد من حريتها الشخصية شيء الا ما كان من باب القانون العام أو حقوق الرجل التي يتضمنها عقد الزوجية ، وهذه حكمة قرآنية مثل سابقتها (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) ، وأما الثاني فقد مر بيانه بأنه مباين لطبيعة المرأة ، مفسد لانوثتها وهي تعجز عنه ، فعلي المجتمع أن يحميها منه ، ويرحمها من قسوته ابقاء علي طبيعتها ، وصيانة لانوثتها ان تفسد ، عليه أن يقوم بحاجاتها من ذلك فان كان لها من الرجال من يقوم بها فذاك ، والا حملت نفقاتها على الاموال العامة

نقل الاستاذ العلامة الجليل فريد وجدى عن زعيم الفلسفة الحية اجوست كونت ما هذا نصه (يجب أن يغذى الرجل المرأة،هذا هو القانون الطبيعي لنوعنا الانساني، وهو قانون يلائم الحياة الاصلية المنزلية للجنس المحبوب (النسائي) وهذه القاعدة التي تريك أخشن اشكال الاجتماع تتحسن وتكمل على قدر رقي النوع الانساني فان كل الترقيات المادية التى تتطلبها الحال الحاضرة للنساء تستحيل إلى وجوب تطبيق هذا الناموس الاساسى بالدقة، ويجب أن تحدث نتائجه ردفعل على كل العلاقات الاجتماعية وعلى الاخص بالنسبة لاجر العملة، هذا القانون الذى يلائم الميل الفطري يرتبط بوظيفة النساء الشريفة بصفتهن عاملا حبيًا للآلة المولدة للحركة، وهذا الاجبار (اجبار الرجل على تغذية المرأة) يشبه ذلك الاجبار الذي يقضى على الطبقة العاملة أن تغذي الطبقة المفكرة منهم لتستطيع هذه أن تتفرغ باستعداد تام لاداء وظيفتها الاصلية، غير أن واجبات الجنس العامل من الجهة المادية نحو الجنس المحبوب هي اقدس من تلك تبعا لكون الوظيفة النسوية تقتضي الحياة المنزلية، ولكن بالنسبة للمفكرين فان هذا الاجبار يكون تضامنيا فقط، بخلافه بالنسبة للنساء فانه ذاتي) انتهي

وأقول هذا كلام اجوست كونت زعيم الفلسفة الحسية التي لا تؤمن بشرع ولا دين، ولا تعترف بشيء وراء الحس والطبيعة، ولا بشيء من التقاليد والعادات إلا أن تشتقه من الطبيعة وقوانينها اشتقاقا وهو رأس في علم الاجتماع، وكبير فلاسفته الحسيين الذين يريدون أن تكون أوضاع المجتمع على القواعد والاصول الطبيعية، إذ لا يؤمنون بغيرها، ولا يعتمدون سواها، يقول اجوست كونت في هذه الكلمة (يجب أن يغذي الرجل المرأة)، ويري هذا قانونا طبيعيا يلائم الحياة المنزلية للجنس النسائى، ويري أن نتيجة هذا القانون يجب أن تتحكم في الاوضاع الحاضرة وتحدث رد فعل عليها فتعدلها حتى في اجور العمال على الاخص فلا ينظر إلى العامل في تقدير أجره باعتباره فرداً فقط، بل باعتباره عائلا كافلا لغيره، أي إن نصف الامة من الرجال يعول نصفها الاخر من النساء ويقول أيضا: (إن هذا القانون الذي يلائم الميل الفطري يرتبط بوظيفة النساء الشريفة بصفتهن عاملا حبيًا للآلة المولدة للحركة) ومعني هذا أن جمال المرأة

يغري الرجل ويستهويه فيدفعه إلى الاقتران بها وهنا تكونت العائلة فيندفع الرجل إلى التهالك على العمل والانتاج ليقوم بحاجات العائلة

ومن مجموع الرجال تتكون الآلة العامة المولدة للحركة العامة التي يصدر عنها الانتاج العام ، وقوة هذه الآلة في الانتاج إنما هي بمقدار نشاط أفرادها ، ونشاط أفرادها إنما يقوم على حب المرأة ، وحب المرأة إنما يقوم على جمالها ، فجمال المرأة عامل حي لهذه الآلة العاملة فيجب صيانته ، واشتغالها بالاعمال العامة يفسده ، فتجب حمايتها منها فيتقرر هذا القانون العام (يجب على الرجل أن يغذي المرأة) ولهذا قال هذا الفيلسوف في موضع آخر (وفي حالة عدم وجود زوج ولا أقارب يجب على الهيئة الاجتماعية أن تضمن حياة كل امرأة. إما في مقابلة عدم استقلالها الذي لا يمكنها أن تتجنبه ، واما على الخصوص بالنسبة إلى وظيفتها الادبية الضرورية . وإليك في هذا الموضوع المعنى الحقيقي للرقي الانساني : يجب أن تكون الحياة النسائية منزلية على قدر الامكان ، ويجب تخليصها من كل عمل خارجي لتمكنها على ما يرام أن تحقق وظيفتها الحبية) وقال أيضاً (نحن بدون أن نتكلف أنفسنا مناقشة تلك المستحيلات الخيالية (يعني تحرير المرأة) المؤخرة للرقي يلزمنا أن نحس — لنقدر قدر النظام الحقيقي — بأنه لو نال النساء يوما من الايام هذه المساواة المادية التي يتطلبها لهن الذين يزعمون الدفاع عنهن بغير رضاهن فان ضمانهن الاجتماعي يبطل على قدر ما تفسد حالتهن الادبية لانهن في تلك الحال سيكن خاضعات في أغلب الصنائع لمزاحمات يومية قوية بحيث لا يمكنهن القيام بها ، كما أنه في الوقت نفسه تتكدر المنابع الاصلية للمحبة المتبادلة) انتهى وتأمل قوله (تتكدر المنابع الاصلية للمحبة المتبادلة) فهو عين ما أسلفنا بيانه

وأما النوع الثالث فهو أخص الاعمال الخارجية وأهمها ، فلئن كانت أعمال النوع الثاني من مزاولة الحرف والصناعات ونحوها تمنع منها المرأة لثلاثة أسباب ، لاستدعائها قوة عضلية عظيمة ليست للمرأة ، ولانها تفسد أنوثتها ، ولانها تصرفها عن وظائف الامومة والبيت ، فأحرى بها أن تمنع أيضاً عن أعمال هذا النوع الثالث لهذه الاسباب الثلاثة مضافا اليها سبب رابع ، وإن كان السبب الثاني ليس

عاما في جميع الاعمال ، وإنما يكون في بعضها كالحروب وحفظ الامن ونحو ذلك
هذا السبب الرابع هو أن هذه الاعمال تستدعي كفايات عالية في العلم والذكاء،
والخبرة والصبر والجلد، والاناة وبعد النظر ، وحظ المرأة من ذلك أقل من حظ
الرجل. فاسنادها اليها تضييع لكفاية الرجل، وحرمان للمجتمع منها، مضافا إلى ذلك
تعطيل وظيفة المرأة وحرمان المجتمع من فوائدها . فالخسارة فيها مضاعفة ، ولو
فرضنا أن في طاقة المرأة تحصيل هذه الكفايات ، ومباراة الرجل فيها بالعكوف
على الدراسات الطويلة الشاقة المضنية في جميع مراحل التعليم، ماخرجت من ذلك
إلا شبحاً ذابلا، تعلوها الصفرة، ويذهب بها النحول. فهاهي قد ذهب جمالها. وفسدت
أنوثتها ، بل شاخت فيها قوة التناسل والتوليد ، فاما أن تصاب بالعقم ، وإما أن
تضعف رحمها عن احتمال الجنين ، فلا تلد إلا أسقاطاً ، ومن ذا الذي يرغب فيها
زوجة على هذا النحول والصفرة والذبول ؟ وماذا فيها من المرغبات التي تغري
الرجل ؟ إن الرجل لا يرغب إلا في أنثى ، وهذه قد صارت جنساً ثالثا ، لاهي
رجل ولا هي أنثى : وصفها في هذه الحال «جيوم فريرو» بأنها جنس ثالث بين الرجال
والنساء : من مميزاته شحوب اللون، وعبوس الوجه ، ودوام الكآبة والماليخوليا .

ثم ما هو الداعي لهذه إلى إفساد فطرتها، وإبطال أنوثتها ، حتى تصبح خلقا
مشوها ؟ أفي المجتمع فراغ لا يفي عدد الرجال بسداده فهي تغامر بنفسها لتسده
قياماً بالواجب ، وفناء في مصلحة المجتمع ؟ أم هو الغرام بالتقليد القردي ، وحب
الاغراب يدفع بصاحبه إلى تجاوز الحدود الطبيعية ، فيضر نفسه ولا ينفع غيره .

وهنا نتلو عليك كلمة للفيلسوف العظيم جول سيمون نقلها عنه الاستاذ فريد
وجدي ، قال (كان الناس في سنة ١٨٤٨ يشكون من عدم الاعتناء بتهذيب
النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم من أن ذلك التهذيب قد بلغ
حد الافراط ، نعم لا نشك في أننا خرجنا من تفريط الى افراط هائل) وقال
أيضا (النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ وقد استخدمتهن الحكومة
في معاملها وبهذا فقد اكتسبن بعض دريهمات ولكنهن قد قوضن دعائم عائلاتهن
تقويضا ، نعم إن الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل

مكسبه لمزاحمتها له في عمله ، ثم قال : وهناك نساء أرقى من هؤلاء يشتغلن بحساب الدفاتر ، وفي محلات التجارات ، ويستخدمن في الحكومة بصفة معلمات ، وبينهن عدد عديد في التلغرافات والبوستة والسكك الحديدية وبنك فرنسا والكردي ليونيه ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من أسراتهن سلخا : وقال أيضا يجب أن تبقى المرأة امرأة) انتهى كلام هذا الفيلسوف الفرنساوي ، ونقل الاستاذ أيضا عن (ساموبل سمايلس) أحد علماء الانكليز قوله عن تعليم المرأة على الاسلوب الشائع الآن (انه يعتبر عملا جنونيا ولا ينطبق على نظام الطبيعة فانه يقضي بتهذيب المرأة لتكون بقدر الامكان مساوية للرجل بلا فرق بينهما الا في الجنس أي مساوية له في الحقوق والاصوات السياسية ومزاحمة له في جميع معارك الحياة الوحشية وحب الذات للتنافس في نوال مركز أو قوة أو ثروة) انتهى

إلى متى تتخبط الانسانية في الضلالات ؟ أين عقل الانسانية وعلمها وفلسفتها وخبرتها وتجاربها الطويلة على هذه الدهور ؟ إذا كان المجتمع غنيا بعنصر الرجال بحيث تزيد كثرتهم عن حاجته حتي ليكثر العاطلون منهم في جميع الطبقات ، فما هي الفائدة من هذا الشطط البعيد ؟ وما هذا الخلط والتشويش وقلب الاوضاع ، ومخالفة سنن الطبيعة ، وعكس الحقائق في الاستعدادات ؟ ولماذا لا يتوفر كل عنصر من عنصرى الاجتماع على ما خلق له وأعد له ، ويقصر عليه قصراً ، فيزكو انتاجه ، ويكثر خيره ، بعيداً عن الشرور والعوائق التي يتعثر فيها المجتمع ، فينشط خالصاً من التشويش والارتباك ، معافي من الامراض ، بريئا من الخلل سليما من العلل . وما أصدق كلمة هذا الفيلسوف الفرنساوى العظيم جول سيمون إذ يقول (يجب أن تبقى المرأة امرأة) ، وما أحكم نبي الاسلام رسول الله محمداً ﷺ وأصدقه فيما رواه البخارى عن ابن عباس (رض) قال (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال)

ان مخالفة السنن الطبيعية لا تكون إلا شرا ووبالا ، تهلك بنية الاجتماع أو تنهكها على تفاوت في المراتب فمنها ما يهلكه عاجلا ومنها ما لا يظهر ضرره الا بعد زمن يطول . مثل ذلك كمثل السموم في الجسم منها ما يقتله لساعته ومنها

ما لا يظهر ضرره الا بعد تجمع رسوبات منه يقاومها شيئا فشيئا ، حتي اذا ما تكاثرت عدت عليه فغلبته وأهلكته . ذلك بأن سنن الطبيعة إنما هي حدود الله (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وكان الله عليما حكيما)

نعود ثانية فنقول في أي شيء تساوي المرأة الرجل ؟ عقد الاستاذ العلامة الجليل محمد فريد وجدي لذلك فصلا في كتاب المرأة عرض فيه تقدير علماء الافرنج للمرأة فرأينا أن نعرض منه هذه القطعة ، قال حفظه الله في الفصل الثالث من هذا الكتاب

«أثبت علم التشريح أن الرجل أقوى من المرأة جسما من جميع الحيثيات ، وبدرجة محسوسة جداً حتى ذهب إلى أن المرأة الحالية ليست انثي الرجل الحالى بل هى انثي كائن آخر يشبهها في تركيبها وضعفها وإن ذلك الكائن قد انقرض بمزاحمة الانسان له في الحياة فتغلب على اناثه التي من نسلها المرأة الحالية (انظر دائرة المعارف الكبرى الفرنسية تحت عنوان « امرأة »)

«هذا الفرض وان كان تطرفا من بعض العلماء إلا أنه يدلنا على عظم الفرق بين هذين الكائنين كما نبينه تفصيلا ، وهـذا الضعف لا نتخذه نحن دليلا على حقارة قدر المرأة ولـكن عنوانًا على حكمة ربنا (الذى اعطي كل شيء خلقه ثم هدي) فانه جلت قدرته كما قضى على المرأة بأداء وظيفة خاصة بها لم يهبها إلا ما يلائمها من الاستعداد والقوى كما يقول جل جلاله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وكما يقول علماء الطبيعة (ان الطبيعة غير مسرفة) .

«أما ذلك الفرق بين الرجل والمرأة فهو : اثبت العلم بالتجربة أن متوسط طول الرجل يزيد عن متوسط طول المرأة باثنى عشر سنتيمتراً ، هذه الزيادة تشاهد عند المتوحشين كما هي عند المتمدينين وعند الاطفال من كلا النوعين أيضاً ، وأما من جهة ثقل الجسم فان متوسطه عند الرجل سبعة وأربعون كيلو ، وأما عند المرأة فلا تزيد عن اثنين وأربعين ونصف ، وأما من حيث المجموع العضلى فانه عند المرأة أقل كما لا منه عند الرجل بكثير قال الدكتور (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبيرة عند ذكره هذا المجموع انه أقل حجما وأضعف منه عند الرجل بقدر الثلث ، وحركاته أقل سرعة ، وأقل

ضبطا ، أما القلب وهو مركز القوة الحيوية فانه عند المرأة اصغر وأخف بمقدار ستين جراما في المتوسط ، وأما الجهاز التنفسي فانه لدي الرجل اقوي منه لدي المرأة ، فقد ثبت أن الرجل يحرق في الساعة (١١) جراما تقريبا من الكربون وأما المرأة فلا تحرق منه الا (٦) وكسراً ولذلك فحرارة المرأة أقل من حرارة الرجل

أما الحواس الخمس فقد أثبت الاستاذان (نيكولس ، وبيليه) أنها أضعف عند المرأة منها عند الرجل ، فهي لا تستطيع أن تدرك رائحة عطر الليمون على بعد مخصوص إلا إذا كانت على ضعف المقدار الذي يدركه الرجل فيه ، وشوهد بالامتحان أن المرأة لا تدرك رائحة حمض البروسيك المخفف إلا على نسبة ١ إلى ٢٠٠٠٠٠ ، أما الرجل فيدركها على نسبة ١ إلى ١٠٠٠٠٠ . أما حاسة الذوق والسمع فان الرجل أدق من المرأة فيها بكثير ، ويكفيك دليلا على ذلك أن أهل الخبرة في تمييز الطعوم ، ونقد الاصوات ، وتوفيق نغمات البيانو كلهم من الرجال كما جاء في دائرة المعارف الفرنسية الكبيرة . أما حاسة اللمس فقد شوهد أن الرجل أدق من المرأة فيها ، وقد برهن الاستاذان (لومبروزو ، وسيرجي) وغيرهما أن المرأة تحتمل الالم أكثر من الرجل ، مما يدل على قلة احساسها به قال (لومبروزو) وهذا من حسن حظ النوع الانساني ، فان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل والوضع وغيرهما ، ولو كانت حساسة كالرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله . يرى مما مر كله أن المرأة بضعفها أكثر تعرضاً لمصائب الحياة من الرجل ، وأشد استهدافا لانواع الامراض منه مما يدل دلالة صريحة على أن حياتها يجب أن تكون منزلية محضة ، لا خارجية . قال العلامة (تروسيه) في دائرة معارفه (انه بالنسبة لضعف المرأة ، ونمو مجموعها العصبي ، نرى مزاجها أكثر تهيجاً من مزاج الرجل ، وتركيبها أقل مقاومة من تركيبه ، فان تأديتها لوظائفها من الحمل والامومة والارضاع يسبب لها أحوالا مرضية قليلة أو كثيرة الخطر

هنا يمكن أن يقول قائل : ان ذلك الضعف التشريحي الذي أثبتّه نتيجة ضغط الرجل على حريتها ، واجبارها علي ملازمة ما يفسد صحتها : نقول هب ان ذلك صحيح

فما سبب رخامة صوتها ؟ على أن من الثابت علمياً ان سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكلفون نساءهم بأعمال الحراثة والزراعة وغيرهما ، من أول الخليقة الي الآن ، ومع ذلك فان تلك الفروق تشاهد بعينها عند رجالهم ونسائهم

قال الاستاذ (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبيرة «ان هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض متوحشي أمريكا) كما يشاهد عند سكان باريس ، وعليه فلا سبيل للجدل في هذه القضية

أما من جهة أفضلية الرجل على المرأة في مركز الادراك فمما لا مشاحة فيه حيث أثبتها (البسيكولوجيا) «علم النفس التجريبي» فقد شوهد انه يوجد فارق جسيم بين مخي الرجل والمرأة ، مادة وشكلا : أثبت العلم أن مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمقدار مائة جرام في المتوسط : ولا يعترض علينا بأن هذا الفرق منشأه الاختلاف بين حجمي الجسمين ، لانه شوهد أن نسبة مخ الرجل الي جسمه كنسبة ١ إلى ٤٠ أما نسبة مخ المرأة الي جسمها فكنسبة ١ إلى ٤٤ وفرق بين النسبتين : وغير هذا فان مخ المرأة أقل ثنيات ، وتلافيفه أقل نظاما ، وهذه المشاهدة يعدها العلماء من أكبر مميزات الجنسين . وكذلك يوجد اختلاف بين المخين في الجوهر السنجابي الذي هو النقطة المدركة من المخ ، فهي عند النساء أقل منها عند الرجال بدرجة محسوسة جداً

ولكن في مقابلة ذلك تجد مراكز الاحساس والتهيج عند المرأة أحسن تركيبا منها عند الرجل قال الاستاذ (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبرى «وهذا مطابق لمميزات الجنسين من الجهة النفسية ، فان الرجل أكثر ذكاء وادراكا ، وأما المرأة فأكثر انفعالا وتهيجا»

لاشك ان كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان على أن مركز الادراك في الرجل أرقي منه في المرأة ، فيكون هو أفضل منها ادراكا ، ولا يمكن أن يعترض علينا بأن ذلك نتيجة حرمان المرأة من التهذيب طول تلك القرون الخالية وانه بمرور الزمن قد ينمو مخها حتى يساوي مخ الرجل ، لان تلك الفروق تشاهد بعينها في الشعوب العريقة في الوحشية التي لا حظ لكلا الجنسين فيها من التعلم ، فلو كان السبب الذي يرقي مخ الرجل عن مخ المرأة هو التعلم فلماذا تشاهد تلك الفروق

بنفسها عندهما وهما على حالة السذاجة الطبيعية الاولى التي لا يفضل أحدهما الآخر في مزية عقلية ما فيها ؟

ولكن ليهدأ أنصار المدنية المادية عندنا فقد أثبت القوم انهم كلما ازدادوا تمدينًا ازداد الاختلاف بين الرجل والمرأة فقد جاء في دائرة المعارف الكبيرة ما نصه: «الاختلاف الطبيعي يزداد وضوحا بازدياد التمدين بحيث أصبح الفرق بين الابيض والبيضاء أكبر بكثير من الفرق بين الاسود والسوداء . ولا يستغربن القارىء من تزايد هذا الفارق بين الرجل والمرأة في ذلك الشكل من المدنية ، فان لسان النواميس الطبيعية يصيح بالذكر والانثي في تلك البلاد : أن احذرا التمرد علي قوانين الحكمة الآلهية ، وعصيان قواعدها غير القابلة للتبدل مهما موهتما على أنفسكما وعلى الناس، فقد عصاها قبلكما أمم بأسرها فذهبت في تيار الفناء ، ولم تغن قوتها عنها فتيلا : هذه النواميس الطبيعية لا تنذر بلسان وشفتين ، ولكن تنذر بأحداثها وأحوالها ، فان تزايد الفرق بين المرأة والرجل علامة عملية على أن المرأة ليست في الدائرة التي رسمها الله تعالى لان تشغلها

فلتنتبه المرأة من رقدتها ، ولينتبه محبو الرقي الانساني فيدخلوا المرأة الى حدودها الطبيعية بالطرق الحكيمة ، ولتحذر المرأة المسلمة من السقوط في هذه الهاوية السحيقة، فان طلبها للاستقلال الموهوم سيجرها «لا سمح الله» إلى زيادة الفرق بينها وبين الرجل ، وهو عنوان تسجيل الشقاء الابدي عليها بدل الحرية ، ولتعلم أن تزايد هذا الفارق في اخواتها في العالم المتمدن لم يجره اليهن الا تشبثهن بمباراة الرجل في حياته الخارجية وهو مجال سبقها ولم يزل يسبقها الرجل في كل شأن فيه مع ما كن عليه من الفارق الاصلى المعلوم ، فما بالك لو تزايد هذا الفارق إلى اكثر من ذلك؟

وقد حسب الاقتصاديون ما ينبنى على الفارق الطبيعي الاصلى بين الرجل والمرأة من الامتيازات للاول دون الثانية بقواعد رياضية ،حيث اثبت الفيلسوف (برودون) في كتابه (ابتكار النظام) أن نسبة مجموع قوي الرجل الى قوي المرأة تساوي ثلاثة الى اثنين، ثم قال بالحرف الواحد:

(وحيث أن كل مجتمع مكون من اتحاد هذه الثلاثة العناصر وهي : العمل

والعلم والعدالة ، فيكون القدر الحقيقى للرجل والمرأة هو كنسبة (٣ في ٣ في ٣) إلى (٢ في ٢ في ٢) أي كنسبة ٢٧ إلى ٨ وبهذه الشروط لا يمكن أن توازي قوى المرأة قوى رجل ، فخضوعها له أمر لا مناص منه ، فهي أمام الطبيعة والعدالة لا توازي ثلثه ، فيكون التحرير الذي يطلبه بعضهم باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلا شرعيا إن لم أقل تسجيل العبودية)

هذا قول اقتصادي خبر الاحوال في بلاده ، وعلم موضع القوة والضعف منها ، فلا يليق أن نضرب بقوله عرض الحائط . ولكنه لم يبخس حق المرأة من جهة أخرى حيث قال (ولما كانت موهبة المرأة معنوية محضة فقيمتها لا تقدر من هذه الجهة وتسبق الرجل فيها لا محالة ولكن على شرط أن يكون هو سائقها ، وهي لأجل أن تحفظ لنفسها هذه الهبة التي لا تثمن والتي هي ليست خاصية ثابتة فيها بل هي صفة او شكل او حلة يلزمها أن تخضع لقانون السيطرة الزوجية ، فان المساواة تجعلها مكروهة قبيحة فتكون حالة العقدة الزوجية ومميتة للحب ومهلكة للنوع البشرى) اه

ونقل الاستاذ وجدي عن برودن هذا في موضع آخر ما نصه (ان وجدان المرأة اضعف من وجداننا بقدر ضعف عقلها عن عقلنا : ولاخلاقها طبيعة اخرى غير طبيعة اخلاقنا ، فالشيء الذي تحكم عليه بالقبح او الحسن لا يكون هو عين ما يحكم عليه الرجل كذلك ، بحيث ان المرأة بالنسبة الينا تعتبر غير مؤدبة : لاحظها بدقة تر أنها إما مفرطة أو مفرطة في جنب العدالة ، فان عدم المساواة خاصية في نفسها ، ولا ترى عندها الميل إلى توازن الحقوق والواجبات ، وهو الميل الذي يؤلم الرجل ويسوقه إن لم يحصل عليه إلى الدخول مع أمثاله في نزاع شديد : فالشيء الذي تحبه أكثر من كل شيء وتعبده هو الامتيازات والخصوصيات : أما العدالة التي تسوى بين أصناف البشر فهي بالنسبة للمرأة عبء ثقيل لا تحتمله) اه كلام برودون . وإلى هنا انتهى ما أردناه من كلام الاستاذ وجدي

***

قد علمت من هذه النقول تقدير علماء الافرنج وفلاسفهم للمرأة جسما وعقلا وخلقا وغريزة - وسيأتيك من أقوالهم أكثر من ذلك - وان نسبتها إلى الرجل في

جميع ذلك هي كنسبة ٨ إلى ٢٧ فما هذه المساواة التي أصبحت ترددها هي وأنصارها مثاني وأناشيد تصم الاذان صراخا ؟

(أيها الناس) حولوا أبصاركم عن الخيال إلى الواقع : هذه هي الدنيا وهذه آثار الانسان فيها تملأ ظهر هذه الارض من العمران و المدنيات الخالية والحاضرة أعمالا وصنائع وزراعات ، وشق أنهار ، وأبنية ومنشئات ، وجهادا وحروبا ، وعلوما وفلسفات ، وفنونا وتكوين أمم ، ورفع دول واسقاط دول ، وانشاء حضارات ، ونسخ أخرى : فما هو حظ المرأة من هذه الآثار والمعجزات في كل مجرى من مجاري الحياة ؟ أليست قد قامت كلها على كاهل الرجل وحده ؟ وما حظ المرأة منها إلا أن تكون جزءاً متمما كحظ الصبي في عمل معلمه ، والخادم في حياة سيده : فان كان لها عمل في ذلك كله يستحق الذكر والتنويه ، فليس أكثر من وظيفة الامومة والبيت ، وحضانة الاطفال ، وهذا ما نريد أن نعترف لها به

لا تقل ان انفراد الرجل بهذه الآثار دون المرأة إنما كان منشأه ضغط الرجل وتضييقه عليها دائرة الحياة ، ولو قدر انه لم يكن هذا الضغط والتقييد لكان لها من الاعمال مثله ، وشاركته في هذه الآثار ، وقاسمته إياها : لأنا نقول ما الذي جعل الرجل يغلبها ويسيطر عليها أول الامر إذا فرضت أنها كانت قوية مثله ؟ ان قانون تصارع القوى لا يجعل أحد المتغالبين مغلوبا إلا أن يكون ضعيفا عن صاحبه ، وإلا لوجد معلول بغير علة ودون سبب ، وهذا باطل في حكم البداهة وأول النظر

ها هي المرأة قد تحررت في المدنية الغربية وبلغت ما تريده الى أقصي حد ، وانتشرت في جميع ميادين الحياة ، فهل استطاعت أن تخرج عما ذكرنا ؟ ـ وإياك أن تنقض هذا العموم بمثل جان دارك وغزالة الحجاج فان الندرة لا تغني في مقام العموم شيئا ـ هل استطاعت أن تستقل عن الرجل فيما نزعت اليه ، وتستغني عن كفالته ؟ هل استطاعت أن تبطل القانون الطبيعي الذي يضعها موضع المكفول من عائله ؟ وان استطاعت ذلك بعض الاستطاعة في بعض الفقيرات العاملات فهل كان ذلك الا بأن مسخت نفسها فخسرتها وبذلتها ثمنا لهذا الشذوذ ، فكانت الجنس الثالث الذي تحدثنا عنه سابقا

ألا ان المرأة الغربية على ماوصلت اليه ما تزال مكفولة بالرجل ، محمية به ، تعيش على كده وانتاجه، محتاجة اليه رغم انفها وأنف محرريها ،وان هذا التحرير ما أفادها ولا أفاد المجتمع منها الا هذا التهور، والامعان في الطيش والتمرد الكاذب الذي ملأ المجتمع فساداً وشروراً،فنغص الحياة على الرجال،وحلل الروابط الزوجية، وهدد الكيان العائلي وأوهنه حتي لأوهي الاسباب وتوافهها ، وانظر ماتنشره الصحف دائما من أخبار المرأة في المدنية الغربية وبالاخص في أمريكا في قضايا طلب الطلاق والاسباب التي تدلى بها المرأة الى القضاء لتضحك أو تبكي على مصير الانسانية إلى مثل هذا السفه،فلا نفعت المرأة نفسها، ولاهي أفادت المجتمع، ولا هي تركت العنصر العامل وهم الرجال يتفرغون لما خلقوا له دون أن ترهقهم بمصائبها وبلاياها ومنغصاتها ، ولو قدر لطوفان طغيانها أن ينحسر عن المجتمع وانحصرت هي في دائرتها الطبيعية، لكان الاجتماع أحسن حالا، وأرقي كثيراً مما هو الآن ، ألا قبح الله الهوي والجدل ، ما أضلهما عن السبيل،وأكثرهما تضليلا

هذا وقد رأينا أن نسوق اليك طائفة من آراء علماء الافرنج وفلاسفتهم في المرأة وقضيتها وشؤنها اليوم مما يتصل بهذا البحث، ويطلعك على تبرمهم بها كما نتبرم نحن بأحوالها وأحداثها سواء بسواء : ننقل هـذه الاقوال من رسالة للفيلسوف الالماني (شوبنهور) كتبها عن النساء وترجمت إلى العربية ، ومن كتاب (المرأة المسلمة) للاستاذ العلامة الجليل محمد فريد وجدي ، وهذه هيه :

الفصل الخامس

(طائفة من آراء الافرنج وفلاسفتهم فى المرأة)

قال الفيلسوف الالماني (شوبنهور) في رسالته :

لأي شيء خلقت المرأة ؟

إن شكل المرأة وحده لكاف في الدلالة على أنها لم تخلق لعظيم الاشغال العقلية، ولا لجسيم الاعمال اليدوية، وان لا نصيب لها في حياتها غير مقاساة سقام الحمل، وآلام الوضع، وعناء القيام بتربية الاطفال، وانها دائما مضطرة لأن تخضع لرجل تعيش معه رفيقة صابرة تهيء له ما لذ وطاب

وكما انها لم تخلق للكد والنصب كذلك لا قدرة لها على تحمل شديد الحزن والفرح ، انما يمكنها قضاء حياتها في سكون وعزلة ، وجعلها حياة طيبة ارغد من حياة الرجل بدون أن تكون بالطبيعة غاية في الهناءة أومتدلية في الشقاء ، والذى يجعل المرأة كفؤاً للقيام بتربية الاطفال انها مهما قضت من العمر فهي في جميع اطوار حياتها كاليافع وسطا بين الناشيء في ضعفه، والفتي في قوته، لاتخرج عن حد طفوليتها، ولا تفترعن صغائرها، وأبسط دليل على ذلك مشاهدتها وهي هائمة طول يومها تحمل طفلا في يدها ترقصه وتغنى له ، ولا تجد من الرجال بين العالم طرا من يقدر على القيام بعملها هذا مهما عظمت قوة ارادته

جمال المرأة

لقد منحت الفطرة المرأة بهجة وقتية فأهدتها تأنقا في الشكل ، وتناسباً في الاعضاء، ودقة في الاجزاء لتتمكن في سني نضرتها القليلة من تملك قلب رجل تضطره إلى التكفل بها بأى وسيلة شرعية ، ولما لم يكفها لبلوغها هذه الغاية حدة فكرها، ولا قوة ذكائها، منحت هذا الجمال وقاية لحياتها، وضمانة لمستقبلها، إنما اقتضت الطبيعة أن يكون ذلك لوقت محدود، لما لهافيه من الحكمة الاقتصادية ألا ترى النملة بعد اتصالها بذكر النمل تفقد اجنحتها التي تصبح وقت البيض غير

نافعة لها بل خطرة علي حياتها، كذلك تفقد المرأة جمالها في الغالب بعد أن تضع مرتين أو ثلاثا، والسر في ذلك هو ما ذكرت الخ .

قصر عقل المرأة

من المقرر في الاذهان انه كلما كان الشيء متقنا دقيقا كان بطيء النمو يحتاج لزمن طويل، والرجل لا يبلغ شرف العقل وتمام لذكاء الاحوالى الثامن والعشرين من عمره، أما المرأة فلا ينمو عقلها بعد السنة الثامنة عشرة، فلا يكون ثمت خلاف في انها ذات عقل صغير محدود، وهي في الحقيقة طفلة في جميع ادوار حياتها، لا ترى لقصر نظرها غير ما يقع تحت عينيها ولا تهتم بغير الحاضر، وتحكم على الظاهر، وتترك الحقائق، وتفضل سفاسف الامور على العظائم منها

والرجل من فطرته كثير النظر في ماضيه والتفكر في مستقبله، وهذا مصدر تبصره، والسبب الذى شغله ووسع عليه دائرة همومه، اما المرأة فعقلها قاصر لا يدرك غير القريب، ولا يمتد إلى البعيد، وهذا هو السر في أن العوارض الخارجية كالماضى والمستقبل اضعف تأثيراً على المرأة منها على الرجل

وهذا أيضا سبب ميل المرأة الشديد للسفه والتبذير لدرجة تقرب احيانا من الجنون حتي انها تعتبر الرجل لم يخلق لغير الكسب، وانها لم تخلق إلا لتبديده بحيث لو شق عليها الوصول لذلك في حياة زوجها فانها تبلغه بعد موته، وهو اعتقاد راسخ في ذهنها يقويه تساهل الزوج واعتياده ائتمانها على ماله، وتكليفها بشؤون منزله

ومما يستغرب منه ما يقوله البعض استدلالا على قوة عقلها انها كثيرة الجلد، والصبر على الشدائد حيث تواسى الرجل، وتخفف آلامه واتعابه، على انها لكثرة اشتغالها بالحاضر راضية به ولو كان معدوم السرور، أو قليله، واكثر انشراحا من الرجل بما يجعلها قادرة على مؤانسته ومواساته

فلا ينبغى لنا التساهل في الاستعانة برأي المرأة كما كانت تفعله الجرمانيون فسقطوا في هوة التفريق، لان طريق فهمها يختلف عنا البتة، ولانها تقصد الغرض مباشرة بدون روية لقصر نظرها، أما نحن فلا تقف أنظارنا أمام الصعاب بل تخترقها

باحثة عما وراءها من الدقائق ، وأضف على ذلك انها ضعيفة العقل لاتري إلا الظاهر، في حين اننا بالرغم (كذا) عما تهيجه فينا من الاميال نبسط الامور لتتجلى لنا الحقائق

عواطف المرأة

تبين لنا هذه الصفات الغريزية في المرأة ما يخالج فؤادها من الشفقة والرأفة والانعطاف على الضعفاء مع انها أحط من الرجل في كل ما له علاقة بالعدالة والاستقامة ، والوفاء ، فالمرأة تتأثر بالظاهر وان لم يخصها تأثراً شديداً لا يخففه تسلية المسلي ولا نصح الناصح ، ولا عظة الحكماء مهما كان لها من الاثر في تقوية العزائم لانها لا تستطيع أن تفكر في غير ما يحيط بها من الاحوال الحاضرة

ولا ننكر على المرأة ما لها من المبادىء الاولية التي تستثمر منها احسن فضيلة ولكننا نأسف لانحطاط الصفات الاصلية فيها، ولو كان عندها قوة ذكاء وبعد نظر لما اتصفت برذيلة الظلم الذى صار غريزة من غرائزها

الرياء سلاح المرأة الطبيعي

لما خلقت المرأة ضعيفة منحت المكر بانواعه لتذود عن ضعفها فشبت والخداع غريزتها ، والرياء والكذب ديدنها : فالاسد تحميه أنيابه وبراثنه ، والفيل اسنانه ، والثور قرونه ، وسمك الحبر مادته السوداء ، كذلك تسلحت المرأة بالرياء للدفاع عن حقوقها ، والحرص على صالحها، وهو رذيلة تعادل في الحقيقة قوة ساعد الرجل ووفرة ذكائه

ولا فرق في هذه الصفة بين الاغبياء منهن والاذكياء ، فلا تألو الواحدة منهن جهداً في الاستعانة به كما يستعين الوحش بسلاحه الطبيعي متي تهيأت لها الاسباب، وسنحت الفرص، معتقدة انها بذلك تدافع عن حقوقها ، وهذا هو سبب استحالة وجود امرأة صادقة مخلصة تقريبا ، ومنها سرت هذه الرذيلة إلى غيرها وفشا الغش والخيانة، والغدر وعدم الوفاء، وغير ذلك من الرذائل

وقد انتشرت شهادة النساء زوراً أمام المحاكم انتشاراً لم نسمع بحصوله من

الرجال يوجب منعهن من أداء تلك اليمين ، خصوصا وقد اصبحنا نري كثيراً من السيدات الميسورات العيش قد ضبطن متلبسات بالسرقة من الحوانيت

غيرة النساء من بعضهم غريزة فيهن

لا خلاف فطريا ينشأ بين الرجال ، أما النساء فقد خلقن عدوات بعضهن ، الحقد والغيرة في فطرتهن ، وربما كان ذلك لان تنافس الرجال لا يخرج عن مهنة واحدة من مهنهم الكثيرة ، وأن النساء ليس لهن جميعاً غير مهنة واحدة وعمل واحد فتنافسهن يشمل كل نوعهن

ويكفي النساء تقابلهن، في الطريق ليتبادلن نظرات العداوة والبغضاء، ومن ينعم النظر في امرأتين قد تقابلتا اول مرة يظهر له جلياً مقدار ما بينهما من عظيم الخلاف والرياء، وشديد الحقد والحسد، ولا تجد مثل ذلك ابداً بين رجلين في مركزهما، ولهذا السبب عينه ترى عبارات السلام بين النساء اكثر انحطاطاً منها بين الرجال

وينبغي ملاحظة ما للرجل من الدعة واللطف في كلامه مع الغير على اختلاف طبقاته ، حتي مع حقير الخدم وما يؤلم الفؤاد عند نظر المرأة الغنية مثلا ، في كبريائها وهى توجه الكلام إلى أخرى أقل منها ولو كانت من غير حشمها

ولا يعد الرجل في الشرف من طبقة إلا إذا توفرت فيه شروط كثيرة ، أما المرأة فيكفيها اعتبار واحد هو حالة الرجل الذي امكنها اخضاعه لها على أن النساء جميعاً ليس لهن غير وظيفة واحدة ، هن فيها متساويات، وانما تراهن ينتحلن لانفسهن ما يميزن به طبقاتهن عن بعضهن

المرأة ليس لها شعور حقيقي بالجمال

لا بد أن يكون ذكاء الرجل قد أوهنه الحب حتي سمي هذا الجنس القصير القامة والفخذ، الضيق الاكتاف، العريض السيقان «لطيفاً» فان جمال المرأة ليس له في الحقيقة وجود الا في عين المحب وكان من اللازم تسميتها بالجنس العديم الشعور بالجمال لانها عديمة الحس فاقدة ملكة التفنن في الموسيقي والشعر وغيرهما من

الفنون سهلة الانطباع وأن رأينا عندها شيئاً من ذلك فما هو إلا تقليد أعمى، وتصنع محض، تعمله لتعشق وتحب

ولا تحسبن المرأة كفؤاً للقيام بأي عمل ليس لها فيه صالح مهما أظهرت من الهمة فيه، فهي تبحث في كل شيء عما تتغلب به علي الرجال، وكل الفوائد التي تستخلصها من الامور الظاهرة ليست منها إلا غشاً وخداعا، ومحض نفاق ورياء

وقد أوضح ذلك (رسّو) في كتابه (جواب إلى دالمبرت) حيث قال «لاتميل النساء لفن من الفنون وهن معدومات الذكاء، شديدات الحرص على اخفاء حقيقتهن» وهو قول حق يعرفه كل من لم يغترّ بالظواهر، ويكفينا لتحقيقه مشاهدتهن في المسارح التمثيلية أو الهزلية حيث تقضى سذاجتهن باستمرارهن في هذرهن وقت تمثيل أعظم قطعة مؤثرة في النفس، خلابة للفؤاد

وإذا كان حقيقة ما قيل عن قدماء اليونان انهم كانوا يمنعون النساء عن الحضور في معارضهم التمثيلية فلهم في ذلك الحق الواضح، ولم تخل مسارحهم بالطبع مما يلذ رؤيته وسماعه

ومع كل ذلك فما الذي ننتظره من المرأة إذا فكرنا في انها منذ الخليقة لم تقم بأى عمل عقلى عظيم أو تقرر في الفنون الجميلة شيئا جديداً أو تبرز كتاباً ذا قيمة حقيقية في أي موضوع كان؟ وهذا مشاهد في الرسم فانها مع مساواتها للرجل في امكانها التعود عليه ومع دأبها على التوسع فيه والاحاطة باطرافه لم تشرف قدرها بعمل واحد جدير بالفخر لتجردها عن سلامة الذوق الضرورية في مثل هذا الفن. وقد قال هيارت[1] من منذ ثلاثة قرون في كتابه الشهير (بحث في الكفاءة العلميـة) «أما النساء فمعدومات الكفاءة ولا يغير هذا الحكم وجود بعض شذوذ فيهن»

قيمة المرأة

فن هو الخلل العظيم في ترتيب احوالنا الذى دعا المرأة لمشاركة الرجل في

(١) من حكماء وفلاسفة الاسبان في القرن السادس عشر: اشتهر بدقة النظر، وصواب الفكر، خصوصا في أمر التربية

علو مجده، وباذخ رفعته، وسهل عليها سبيل التعالى في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها، ودنيء آرائها

قال نابليون «لاقيمة للنساء» وهى كلمة جديرة بالاعتبار وقد أصاب شامفور[1] في قوله : « لم تخلق النساء إلا لمناوشة ضعفنا وجنوننا ، لا لاستلاب عقولنا ، واعدام حسنا، فأكثر ميلنا اليهن بهيمى، أما التوافق بين الارواح والعقول والاخلاق فضعيف جداً »

وما النساء من جميع الوجوه غير جنس ضعيف ونوع ثانوى خلقن ليعشن منزويات في طبقة ثانية . نعم إن إحساسنا يدعونا إلى الشفقة بهن، والحنان على ضعفهن، إنما لا يلزم مطلقا تعظيمهن واحترامهن فان في ذلك على الاقل ما ينقصنا في أعينهن ولم تساو الخلقة بين النوعين عند قسمة الجنس البشرى قسمين ، وقد التفتت إلى ذلك الامم القديمة وفي مقدمتها امم الشرق فوقفوا على الوظيفة الحقيقية المناسبة للمرأة . أما نحن فقد ابتعدنا عن ذلك جريا على العادة الفرنساوية القديمة، واتباعا للشعور باجلالهن، الامر الذي كان ضربة قاضية أوجبها علينا حمق نصاري جرمانيا فزادها هذا تجبراً وجعلها صعبة الشكيمة ، حتى يخيل الي أحيانا أنها تشبه قردة (بيناريس) المقدسة التى تثق تماما بسامى مركزها في الدين عندهم ، واستحالة نزعه عنها فتجيز لنفسها عمل كل شيء

السيدات في أوربا

يسمون المرأة في أوربا بالسيدة، ويحلونها محلا لا يقبله العقل السليم، على انها وهي الجنس الوضيع عند القدماء لم تخلق لتكون محط الاعتبار، وموضع الاحترام، ولا لترفع رأسها فوق الرجل، ولا ليكون لها من الحقوق ماله ، وكفانا ما أصبحنا فيه مما لا يحتاج الى اثبات دليلا علي سوء نتيجة تعظيمها واحترامها

ان النفوس لتتمنى أن ترجع أوروبا في هذه الطبقة الثانية من الجنس البشرى إلى مركزها الطبيعي (تأمل) وان تمحى السيدة التي أضحكت أهل آسيا بأجمعها ولو علم

(١) من أشهر فصحاء الفرنساويين (١٧٤١ - ١٧٩٤)

بهاقدماء اليونان والرومان لجعلوها موضوع سخريتهم أيضاً، ويكون هذا الاصلاح خطوة حقيقية في سبيل تنظيم احوالنا السياسية والاجتماعية وها هي اصول قانون ساليك واضحة كالشمس لا تقبل نقدا

ان ما نسميه في العرف بالسيدة لفئة يجب القضاء عليها حتي لا يبقي في هذا العالم غير نساء للمنازل عارفات بالاشغال المنزلية وفتيات تستعد لذلك، يعودن العمل ويطبعن على الخضوع، لا على التعنت في الرأي والاستبداد فيه، فقد صارت نساء الطبقة الوضيعة وهن الاكثر عددا بجانب هاته السيدات في حال تؤلم الفؤاد اكثر مما نتوهمه في الشرق تأمل تأمل

ويجدر بي أن أذكر هنا ما قاله اللورد بيرون في كتابه (الرسائل والجرائد جزء ٢ صحيفة ٣٩٩) قال «لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهدقدماء اليونان لوجدتها في حالة يقبلها العقل، ولعلمت أن الحالة الحاضرة لم تكن غير بقية من همجية القرون الوسطي حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة، ولرأيت معي وجوب إشغال المرأة بالاعمال المنزلية مع تحسين غذائها وملبسها فيه، وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير، وتعليمها الدين، وابعادها عن الشعر والسياسة، وعن قراءة كل كتاب يبحث في غير الدين والطباخة، ثم لا بأس بقليل من الموسيقي والرسم والرقص والشغل في البساتين من وقت لآخر»

الزواج في أوروبا قيد واستعباد

ان قوانين الزواج في أوروبا لفاسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل، فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا، وضاعفت علينا واجباتنا، على انها ما دامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضاً عقلا مثل عقله وبقدر ما تمنح تلك القوانين لبعض النساء حقوقا وشرفا اسمي من استحقاقهن بقدر ذلك تقلل عدد من يستحق بعض ذلك منهن، ثم تحرم الاخريات من حقوقهن الطبيعية بعين هذه النسبة التي ميزت بها ذلك البعض

على ان قانون الاقتصار على زوجة واحدة وما يتبعه من القيود لم يفد الرجل البصير في جعله يتردد مرة واحدة ويعمل بهذه الصيغة غير العادلة ، أو يقبل أن يضحي من اجلها

ولا تعدم امرأة في الامم التي تجيز تعدد الزوجات زوجا يتكفل بشؤونها والمتزوجات عندنا عدد قليل وغيرهن لا يحصين عداً تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهى هائمة متحسرة، ومخلوقات ضعيفة في الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب، ويتحملن شاق الاعمال، وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخزى والعار تكون طبقة عمومية مبتذلة معروفة من الجميع، لا فائدة لها غير وقاية سعيدات الحظ اللاتى وجدن أزواجا، أو اللاتى لهن أمل الحصول على زوج من الفساد. ففي مدينة لو ندرة وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة، ونتيجة تعنت السيدة الاوروبية وما تدعيه لنفسها من الاباطيل

أما لنا ان نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حسنة حقيقية لنوع النساء بأسره ؟!

إذا رجعنا إلي اصول الاشياء وحقيقتها لا نجد ثمت سببا يمنع الرجل عن التزوج بثانية إذا اصيبت امرأته بمرض مزمن تألم منه أو كانت عقيما او على توالى السنين اصبحت عجوزاً ، ولم تنجح (المورمون) [1] في مقاصدهم إلا بابطال هذه الطريقة الفظيعة

علي اننا بمنح المرأة حقوقا فوق طبيعتها نفرض عليها واجبات تفوق حد قدرتها فنجلب عليها المصائب، لان الرجل ببحثه في الزواج عن الشرف والثروة يوقع نفسه ان لم يوفق لزواج سعيد في عدم التبصر، وتكثر اتعابه، ويثقل حمله، ولا يجد زوجة توافقه فيتخذ رفيقة يكتفي باسعاد حظها هي وأولادها ، وإذا تمكن من نوال ذلك بطرق عادلة يقبلها العقل كفيلة براحته فالمرأة التي تقبله بدون تمسكها بالحقوق الكثيرة التي يفرضها الزواج وحده تفقد شرفها، وبجر علي

(١) أهل مذهب انتشر بأمريكا من سنة ١٨٢٧ أساسه إباحة تعدد الزوجات وهم مسيحيون

نفسها حياة تعسة لما في طبيعة الرجل من التوجس خيفة من نوايا الغير ، وان لم تقبله فتخشى من التزوج بمن لا يوافقها ، او ان يذبل جمالها ويزول بهاؤها ببقائها بكراً عجوزاً ، خصوصا وان وقت التروي قصير جداً

ومن المفيد في هذا البحث قراءة معاهدة (توماسيوس) عن الزواج غير الشرعي المشهود لها بدقة النظر ، وحكيم الرأي ، نجد فيها ان المرافقة كانت مباحة عند الامم المتمدنة في جميع الاعصر حتي عهد الاصلاح ، و كانت الى حد معروف في القانون شريفة لا عار فيها . واصلاح الليتريبين (١) هو الذى خفض من شأنها جريا على قاعدة الزواج عند القسس ، ولم تتردد الكنيسة الكاثوليكية في السير بموجبه ، على انه من العبث الجدال في أمر تعدد الزوجات ما دام منتشراً بيننا لا ينقصه غير قانون ونظام (تأمل)

من أين لنا من يقتصر حقيقة على زوجة واحدة ؟ بل لا ننكر انا في بعض أيامنا أو في معظمها كلنا اوجلنا نتخذ كثيراً من النساء وما دام الرجل محتاجا لزوجات كثيرة يجب ان يتكفل بشؤون هذه النساء فتضطر المرأة الى الرجوع إلى حقيقتها ، وتعلم انها مخلوق ثانوي ، وتتلاشى تلك السيدة وصمة التمدن الاوروبى ، ونتيجة سذاجة الجرمانيين ويختفى معها ما تدعيه لنفسها باطلا من الشرف والاحترام (تأمل)

فلتمح هاته السيدات لتمحي معها تلك التعسات اللاتي ملأن البلاد ! ! ومن الادلة على ان المرأة خلقت بطبيعتها لتكون أقل من الرجل ومطيعة له انها مهما استقلت في عيشها لا تستغنى عن مسيطر فترتبط بأي رجل تخضع له ويدير شؤونها ، فان كانت شابة فلها حبيب ، او عجوزاً فمعرف تعترف اليه

شرف النساء

شرف المرأة كشرف الرجل متعلق كما لا يخفى بطهارة العرض ، إلا أن شرف المرأة هو الاهم منهما لشدة ارتباطها بالنوع ، فشرف الفتاة في العفاف ،

(١) هم البروتستانت شيعة ليتر الذى أدخل الاصلاح على ديانة الالمانيين (١٤٨٣ — ١٥٤٦) وترجم التوراة إلى اللغة الالمانية

وشرف المرأة في وفائها لزوجها ، وتحتاج المرأة الى الرجل في جميع حاجاتها وفي تتميم رغائبها، أما الرجل فلا حاجة له بها في الحقيقة إلا في شيء واحد فعليها ان تتدبر في ذلك فتعامل الرجل بما لا يمكنه من نوال بغيته الا إذا توثقت من تعهده لها بالعناية بها وبمن ستأتي له به من الأولاد (تأمل)

ويلزم لنوال النساء هذا المقصد ان يتعاضدن ويتحالفن، ويكن كامرأة واحدة متحدات القلوب أمام الرجال الذين بموجب تسلطهم حساً ومعنى قد امتلكوا جميع خيرات الارض فيعتبروهن العدو المشترك بينهن، اللازم التغلب عليه والفتك به للتمكن من مشاركته في التمتع بتلك الخيرات ، وخير موعظة لهن في ذلك ان يرفضن بتاتا كل اتصال غير شرعي بالرجل لحمله على الزواج الذي يكون بمثابة امتياز لهن (تأمل)

فان كان في النساء نخوة حقيقية، وميل صادق لترقية شأنهن ، فليعملن بهذه الموعظة، وكل فتاة تشذ تعتبر خائنة لجميع جنسها فتطرد على الفور من البلد، وتشهر بالعار، وتبتعد كل امرأة عنها كما يبتعد من المطعون، وتعامل المتزوجة بأقسى من ذلك لانها تكون قد عبثت بأهم الشرائط التى اتفقت مع زوجها عليها بل تكون قد أضرت بجميع النوع حيث يصير مثلها عظة لكثير من الرجال فلا يقدمون على الزواج (تأمل)

ولا تتأثر النفس من السماع عن ابتذال فتاة بقدر ما تسمع عن فساد زوجة، لان العابث يمكنه اعادة شرف الاولى بزواجه بها ولكنه لا يمكنه اعادته للثانية ولو بعد طلاقها من زوجها

ومن يمعن النظر في الامور يتبين له انه من الضروري النافع لحفظ شرف النساء وجود تحالف بينهن يكون محكم التدبير، أسه المصلحة، فان أهميته في حظهن لا ينكرها أحد، انما لا ينبغي ان تنسب اليه منفعة في غير الحياة وشؤنها ، بل منفعة جديرة بان تؤثر على الحياة نفسها الخ

انتهى ما اردناه من رسالة الفيلسوف شوبنهور ولم نترك منها إلا شيئا طفيفا

وقال الاستاذ الكبير فريد وجدي في كتاب المرأة ما نصه :

جاء في دائرة معارف القرن التاسع عشر تحت لفظة (امرأة) ما يأتى : لاتختلف المرأة عن الرجل باختلاف شكل أعضاء التناسل في كليهما فقط ، نعم لا شك في ان تلك الاعضاء هي اكبر الاختلافات التي بينهما ولكن كل الاعضاء الأخري حتي التي تظهر أنها اكثر تشابها فيما بينهما ترينا تغايراً خاصاً ، ثم اخذت تقارن بين كل الاعضاء مقارنة علمية مبنية على الامتحان التشريحي الدقيق ، حتي قالت ان تركيبها الجسماني يقرب من تركيب الطفل ؛ ولذلك تراها مثله ذات حساسية حادة جداً ، وتتأثر بغاية السهولة بالاحساسات المختلفة ، كالفرح ، والألم ، والخوف ، وبما أن هذه المؤثرات تؤثر على تصورها بدون أن تكون مصحوبة بتعقل ، فلذلك تراها لا تستمر لديها إلا قليلا ، ومن هنا صارت المرأة معرضة لعدم الثبات)اه

وقال الاستاذ في موضع آخر : قال الفيلسوف برودون في كتابه (ابتكار النظام) لما ضاق ذرعا باللغط بتحرير النساء تلك الحرية المفرطة قال ما نصه : (وايضاً فاني فضلا عن كوني لا استحسن ما يسمونه اليوم بتحرير المرأة ، اميل من باب اولى إذا دعا الحال ان اشير بحبسها) وقال في موضع آخر (كتب الاستاذ في علم الانسان (جيوم فريرو) في المجلد الاول من مجلة المجلات سنة ١٨٩٥ ما يأتى (ان العلامات المنذرة بقرب حلول الازمة النهائية لهذا الشكل من المدنية التي نعيش فيها كثيرة جداً ، (تأمل) بحيث لا يمر يوم حتي يقف الباحث على انذارات جديده فيها ، فلنعط نحن ايضا انفسنا وظيفة الطبيب ولنجتهد في زيادة ما شخصه الاطباء من هذا المرض الاجتماعي في زماننا هذا بدرس هذا الشكل الجديد من الرهبنة التي مع عدم استنادها الى دين تهددنا بانها ستصل إلى الحد الذى وصلت اليه الرهبنة الدينية في زمن من ازمنة القرون الوسطي ، يعلم الرجال والنساء بالتجربة وفي كل بلد بان العقبات التي تحول دون الزواج تزداد يوما بعد يوم ، وان هناك اسبابا لاعداد لها اقتصادية على الخصوص تقف في طريقه حتي أن كثيراً من الناس لما يئسوا من امكان تذليلها صبروا علي

العزوبة بكل ما في وسعهم ؛ ومن السهل علينا ان نقول اذن أن عدداً عديداً من اشخاص ، من كلا الجنسين يجب ان يحدثوا آثاراً هائلة علي كيان الهيئة الاجتماعية كلها وذلك بمعيشتهم بلا زواج ، اعنى في شروط حيوية صناعية ، ويلزم أن الآثار التي تنتج من النساء العزاب تكون اكبر من آثار الرجال العزاب ، فان عزوبة الرجل تكسبه في الواقع ونفس الامر صفات نفسية خاصة به ولكنها لا تقلب كيان شخصيته تماما لانها لا تستلزم عنده العفة مطلقاً ، ويمكنها أن تجبره على المعيشة بين بنات الهوى أو ترغمه على السفاد ، وعلى هذا فالعزوبة لا تقتل فيه تلك الوظيفة الفسيولوجية دفعة واحدة ، واما المرأة فهي بخلاف ذلك فان الشروط الاجتماعية الحالية تستدعي عفتها في عزوبتها ، والعفاف يقتضى حذف وظيفة الامومة وهي الوظيفة التي خلقت المرأة لاجلها ، جسما وروحا ، لاشك اذن أن هذه الحالة يجب ان تفسد شخصيتها فساداً ذريعاً ، ولا شك أيضاً ان عدداً كبيراً من هذه النسوة يحدثن آثاراً هائلة على الهيئة الاجتماعية) اه

وقال الفيلسوف (فوربيه) وهو من أشد انصار المرأة غلوا في تحريرها ولكننا نأخذ قوله حجة على سقوط المرأة في ميدان الزحام في الاعمال الخارجية كما سبق لنا تقريره قال (ما هى حالة المرأة اليوم انها لا تعيش إلا في الحرمان حتي في عالم الصناعة الذي الم الرجل بجميع انحائه حتي الاشتغالات الدقيقة بالخياطة وصنع الريش ، اما المرأة فيراها الناس منكبة على اشق الاعمال في الخلاء فما هي اذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال ، المغزل ام جمالهن ان كان لهن جمال ، نعم ان حيلتهن الوحيدة هي السفاد العلني أو السري ليس إلا ، وهي الحيلة التي تنازعهن فيها الفلسفة إلي الآن ، هذا هو الحظ التعس الذي الجأتهن اليه هذه المدنية ، وهذا الاستعباد الزوجي الذي لم يفكر في مهاجمته إلى الآن ، هل يمكن ان نري ظلا من العدالة في حظ النساء هذا؟)

ونقل الاستاذ عن مجلة المجلات في مجموعة سنة ١٨٩٧ قولها (ان كثيراً منهن يشتغلن في اقسى الاعمال ولا ينلن إلا مايساوي عشرين سنتيما في اليوم ، وليس شكل مأكلهن إلا الخبز المطبوخ مع ثفل اوراق الشاى اه .

وقال الاستاذ (برودون) في كتابه (ابتكار النظام)

(النوع الانسانى ليس مدينًا للمرأة بأي فكرة اخلاقية ، ولا سياسية ، ولا فلسفية ، فانه مشى في طريق العلم بدون مساعدتها ، واستخرج منه المدهشات والعجائب ، النوع الانسانى ليس مدينا للنساء باى اكتشاف صناعي ، ولا باقل آلة ، فالرجل وحده هو الذي يخترع ، ويكمل ، ويعمل وينتج ، ويغذى المرأة ثم قال وان الدور الذي لعبته المرأة في الآداب هو مثل الدور الذي لعبته في الفابريكا فانها لم تنفع في هذه إلا حيث لا يلزم استعمال القريحة ، مثلها في ذلك كمثل الشبك والبكره) اه . ونقل عن العالم الانكليزى (ساموبل سمايلس) في كتاب له في الاخلاق (ان النظـام الذي يقضى بتشغيل المرأة في الفابريكا مهما نشأ عنه من الثروة في البلاد فان نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لانه هاجم هيكل المنزل وقوض اركان الاسرة ومزق الروابط الاجتماعية ، فانه بسلبه الزوجة من زوجها ، والاولاد من اقاربهم صار بنوع خاص لا نتيجة له إلا تسفيه اخلاق المرأة ، لان وظيفتها الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها ، وتربية أولادها ، والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيـام بالحاجات البيتية ، ولـكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث اصبحت المنازل غير منازل ، واصبحت الاولاد تشب على عدم التربية ، وتلقي في زوايا الاهمال ، وانطفأت المحبة الزوجية ، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل ، وصارت زميلته في العمل والمشاق ، وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكرى والاخلاقي الذي عليه مدار الفضيلة) اه

ونقل أيضا عن هذا العالم من موضع آخر في هذا الكتاب ما نصه :

(ان اعظم ما كانت تمدح به المرأة الشريفة ربة العائلة عنـد الرومانيين القدماء هو انها كانت ملازمة بيتها تغزل فيه ، وقد قيل في عصرنا ، ان غاية ما يلزم ان تعلمه المرأة من الكيميا هو أن تعرف حفظ القدر في حالة الغليان ، ومن علم الجغرافيا معرفة الغرف المختلفة في بيتها ، على ان (بايرون) الذى كانت آراؤه

نحو النساء غير سديدة اعترف بأنه يود ان لا يوجد في مكتبتها غير التوراة وكتاب الطباخة ، إلا أن هذا الرأي بالنسبة لاخلاق المرأة وتهذيبها يعتبر حرجا ضيقا الى الغاية ، وغير معقول ، هذا من جهة ، أما من جهة أخري فان الرأى المضاد له ، وهو الشائع الآن جداً يعتبر جنونيا ، ولا ينطبق على نظام الطبيعة فانه يقضى بتهذيب المرأة لتكون بقدر الامكان مساوية للرجل بلا فرق بينهما إلا في الجنس اى مساوية له في الحقوق والاصوات السياسية ، ومزاحمة له في جميع معارك الحياة الوحشية ، وحب الذات للتنافس في نيل مركز ، أوقوة ، أونقود) اه

وقال الاستاذ أيضا في موضع آخر (جاء في دائرة معارف لاروس بعد ذكرها ان خراب مدينة روما انما جاء من انطلاق النساء مع الاهواء قالت (وفي هيئتنا الاجتماعية الحاضرة التى فيها يتمتع النساء بحرية مفرطة تري أن دناءة ذوقهن وميلهن الشديد الذي يحملهن دائما على الاشتغال بجمالهن ، وبكل مايزيد حسنهن كل ذلك اكثر خطراً ، وهولا مما كانت عليه الحالة في روما ، نعم لسنا أول من لاحظ هذا الاثر السيء الذى يحدثه حب النساء للزينة يوما فيوما على اخلاقنا (تأمل) فان اشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الكبير ، وكثير من اقاصيصنا التي قوبلت بالاستحسان العام قد وصفت بطريقة مؤثرة — الخراب الذى يجره على الاسر الشره الجنوني بالتزين والتبرج ، فكيف النجاة من هذا الداء الذى يقرض مدنيتنا الحالية (تأمل) ويهددها بالسقوط السريع جداً ، وان شئت فقل بانحطاط لا دواء له) اه .

ونختم هذا الفصل بقطعة من كلام الاستاذ وجدى في كتاب المرأة أيضا يحكي تاريخ المرأة عند الرومانيين

نشأت دولة الرومان في روما في القرن السادس قبل الميلاد صغيرة فقيرة ثم شبت قرنا بعد قرن حتي بلغت مبلغا عظيما من المدنية وكان النساء فيها متحجبات ملازمات لبيوتهن . قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر : (كان النساء عند الرومانيين محبات للعمل مثل محبة الرجال له وكن يشتغلن في بيوتهن أما الازواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب وكان أهم أعمال النساء

بعد تدبير المنزل، الغزل وشغل الصوف ، ثم قالت : (وكن مغاليات في الحجاب لدرجة أن القابلة (الداية) كانت لا تخرج من دارها إلا مخفورة ، وجهها ملثم باعتناء زائد، وعليها رداء طويل يلامس الكعبين وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها) اه .

في ذلك الحين (حين احتجاب النساء) برع الرومانيون في كل شيء : نحتوا التماثيل العظيمة ، وشيدوا الهياكل الفخيمة ، وفتحوا البلاد ، وملكوا العباد ، واستبدوا بصولجان الملك والعظمة دون سواهم من الامم المجاورة ولكن دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الانس والطرب فخرجن خروج الفؤاد من بين الأضالع فتمكن ذلك العنصر المهاجم (الرجل) لمحض حظ نفسه من اتلاف أخلاقهن وخدش طهارتهن ورفع حيائهن حتى صرن يحضرن التياترات ويغنين في المنتديات وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الاول في تنصيب رجال السياسة وخلعهم فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري، حتي أن القاريء للتاريخ ليدهش حينما يري أن ذلك الصرح الروماني الباذخ قد هدمته المرأة حجراً بعد حجر بيديها الرقيقتين ، لا سوء نية منها ولا لكونها مستعدة للافساد بل لافتتان الرجال بها وتناظرهم عليها . هذه حقيقة سياسية لا مجال للجدال فيها قال العلامة (ليويز برول) في مجلة المجلات (مجلد ١١) تحت عنوان الفساد السياسي ما يأتي :

« إن فساد الاسس السياسية وجد في كل زمان ومن الغريب المدهش (تأمل) أن مظاهره في الزمن السابق مشابهة تماما لمظاهره في الزمن الحاضر ، بمعنى أن المرأة كانت العامل الاقوى في هدم الاخلاق الفاضلة »

كان الاجدر بهذا الكاتب العمراني أن لا يلصق تهمة الافساد بالمرأة لان الرجل هو الذي أفسدها وجعلها أحبولة للافساد لمحض أمياله الدنيئة فمن أخرجها من خدرها غيره ؟ ومن سمح لها بخلع العذار سواه ؟ ثم أخذ ذلك الكاتب يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ما كان في عهد جمهورية الرومان حتى

قال : « لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون بصحبة النساء ذوات الطباع الخفيفة اللاتي كان عددهن بالغا حد الكثرة . فصار الحال اليوم (تأمل) كما كان في ذلك العهد ترى النساء اندفعن في تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ واللذات » اه

ماذا حصل فيأمة الرومان المشهورة بحب المجد والعظمة فأنساها سابق تاريخها حتي تهدمت صروح عزها أمام أعينها بدون أن تجد من نفسها الغيرة عليها ؟ وكيف يتصور أن أمة الرومان التي كانت في أيام عظمتها مغالية في حجب النساء تسمح لهن بعد ذلك ان يتسلطن على رجال السياسة ويعزلنهم وقتما أرادوا؟ ما هذا الانتقال العجيب من حالة إلى أخرى ؟ ألا يوجد بينهما تدريج طبيعي؟ نعم ان ذلك الفساد النسوى نما على مقتضي القاعدة الطبيعية : بدأ صغيراً حقيرا ثم استطار شره حتى صار داء عضالا فتك بالجسم كله دفعة واحدة ، قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر :

ولكن لم يسد هذا الحب الجنوني للترف بالنسبة للنساء إلا في عهد الامبراطورية ، أما في الايام الاولي للجمهورية فقد كانت المرأة ملازمة بيتها تغزل فيه الصوف ، ولكن البذخ تسرب إلى روما شيئاً فشيئا حتي قام (كاتون) ينذر بالخطر المحدق الذى سيلتهم كل شيء — مثل كاتون ، مثل المدافعين عن الحجاب اليوم فان التاريخ يعيد نفسه — وبعد ذلك بقليل لم يقف البذخ والترف عند حده) اه ثم اخذت دائرة المعارف تسرد أنواع الالبسة وأصناف الزينات النسوية مما لا فائدة من ترجمته هنا

فلننظر الآن ماذا قال (كاتون) لقومه ، وكيف انذرهم بخطر خلع الحجاب ، وكيف صدقت أقواله ؟ كل هذه حقائق تاريخية حصلت لسوانا ، فالواجب علينا معرفتها جيدا لنستطيع تجنبها ، أو بالاقل لنعمل ما نعمله ونحن عارفون بأننا في سبيل الخطر !

روت دائرة معارف القرن التاسع عشر انه لما حصلت لدي الرومانيين ثورة يقصد بها نسخ القانون الذي كان يحدد بذخ النساء وتبرجهن قام (كاتون) وهو ذلك الروماني المشهور بالفلسفة والحكمة بين جمهور الرومانيين في القرن

الثاني قبل الميلاد وقال : (أتتوهمون معشر الرومانيين انه يسهل عليكم احتمال النساء والرضاء بهن إذا مكنتموهن من فصم الروابط التي تقيد استقلالهن ، وتخضعهن لازواجهن ؟ ألم يصعب علينا حتي مع وجود هذه القيود الجاؤهن إلى اداء واجباتهن ؟ أما ترون انهن سيصرن مساويات لنا وسيوقعننا تحت نيرهن ؟ أي حجة معقولة يمكنهن بسطها لتبرئة اجتماعهن الثورى ؟ لقد أجابتني واحدة منهن قائلة : اننا نريد أن نكون متلألئات في الذهب والاقمشة القرمزية ، وان نتمشى في طرق المدينة في أيام الاعياد ، وسائر الايام الاخري ، وان نركب في العربات الفخمة لاجل أن نظهر انتصارنا على ذلك القانون المنسوخ - الذي يجبرهن على عدم الابتذال - وان نتمتع بحرية انتخابكم - ما اشبه اليوم بالامس - ونريد أيضاً أن لا تضعوا حداً لمصاريفنا وبذخنا)

(فيا أيها الرومان لقد سمعتموني كثيرا ما أقول ان الجمهورية مصابة بدائين متناقضين : الشح ، والبذخ ، وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأساً على عقب ثم أردفت دائرة المعارف هذه الخطبة بقولها ان (كاتون) لم ينجح في دفاعه عن ذلك القانون ، ولكن تحققت انذاراته تماما ، ثم قالت بالحرف الواحد :

« وفي هيئاتنا الاجتماعية الحاضرة التي فيها النساء يتمتعن بحرية مفرطة (تأمل جيدا) تري دناءة ذوقهن وميلهن الشديد الذي يحملهن دائما على الاشتغال بجمالهن ، وبكل ما يزيد حسنهن ورواءهن ، كل ذلك أكثر خطرا وهولا مما كانت عليه الحالة في روما » اه

دعنا الآن من هذا وهلم ننظر ماذا حصل بعد فساد الملك الروماني ، وتغلغل الخلل فيه : هل استمرت النساء متلألئات في الذهب والاقمشة القرمزية ، رائحات غاديات في الطرقات ، وراكبات العربات الفخمة ، كما كان ذلك شأنهن في أيام عز المملكة الرومانية ؟ كلا ولكن رأينا الناس أسرفوا في هضم حقوقهن ، والحط من مقامهن حتي حرموا عليهن أكل اللحم ، والضحك ، والكلام ، وغالوا في ذلك حتي وضعوا في أفواههن أقفالا متينة يسمونها (موزلير) لا فرق في ذلك بين عال ووضيع ، أو عالم وجهول ، ثم سري اسرها إلى اكثر من ذلك حتي

اجتمع في روما ذاتها مجمع في القرن السابع عشر مكون من فطاحل الرجال وطرحت فيه هذه المسألة : هل للمرأة روح ؟

وانى لو اردت ان أشرح للقراء كيفية تحقيق الجرائم على النساء والآلات المختلفة والاساليب الشيطانية للتعذيب لما وجدت من نفسي الجلد على وصف هذه المظالم المرعشة ! ثم لو كلفت أحد النقاشين برسم الهيئات بذاتها تمثل النساء في حالة صب القطران على أجسامهن ، أو ربط أرجلهن في خيول مختلفة وتركها وشأنها تركض إلى كل جهة لتمزقهن تمزيقاً ، أوربط جماعة منهن في سارية وتحتهن نار هادئة مدة أيام مديدة ليمتن على تلك الحالة بتساقط لحومهن وشحومهن . أو أو .... مما يذهب بالفؤاد حسرة ـ قلت لو كلفت أحد النقاشين فرسم لى ذلك من مجلة المجلات (مجلد ١٥) لرأي القراء منظراً لا يذهب عن فكرهم أبداً ! منظراً يريك إلي أى حالة وصل أسر الرجل لهذه المرأة المسكينة !

الناظر لهذه الانتقالات يدهش ويأخذه العجب ويسائل نفسه قائلا : كان النساء بالامس يمرحن فرحات بما أوتينه من الحرية والسلطة على الرجال فكيف صرن اليوم موضوع أقسي المظالم ومحل البهيمية البشرية البالغة حد الكفر والجحود . ما هذا التحول العجيب ؟ ما هذا التبدل الذريع ؟ ما الذي هدم تلك الحرية الاولى ووسم وجه المرأة بميسم الاسر والعبودية لهذه الدرجة الوحشية ؟ » اه

الفصل السادس

(تلخيص وإجمال لما مر تفصيله)

قدعلمت ان الناس في المرأة مذهبان مختلفان يتنازعانها تنازعاً شديداً ، ويختلفان فيها اختلافا عظيما ، وكل مذهب يعين لها في تشكيل المجتمع وضعاً معيناً يختلف عما يراه المذهب الآخر ، ولكل وضع آثار وخصائص ومقتضيات تخالف آثار الآخر وخصائصه ومقتضياته ، وهذا تلخيص وتصوير إجمالي لكل من هذين الوضعين :

﴿ الوضع الاول ﴾ يقوم على خمسة مبادىء : (المبدأ الاول) قصر المرأة على وظيفة الامومة والبيت ، وحضانة الاطفال ، وتنشئتهم على أصول الاخلاق ، وآداب الدين ، وأعمال العبادات التي تزكى جوهر الروح ، وتنشط البدن

(المبدأ الثاني) أن تكون في عزلة عن الاعمال الخارجية : بدنية وعقلية . لان ذلك يعطلها عن وظيفة الامومة والبيت ، ولان الكد وتحمل المصاعب في مباشرة الاولى ، ومعاناة المشاق في التعليم والدراسات الطويلة الشاقة التي تؤهل للثانية كلاهما يفسد أنوثتها ، ويذهب بجمالها ونضارتها ، ويبطل جاذبيتها ، وهذه الصفات والخصائص فيها هي السبب الوحيد لجذب الرجل وميله اليها ، واقترانه بها اقتران الزوجية الذي تكون منه العائلة ، وهي التي تقتاده مكرهاً في صورة مختار إلى التزامه حمل أعباء العائلة ، وتكاليفها الشاقة المضنية ، فهي سلاحها الوحيد ، وعدتها للحياة ؛ فان فقدتها تقطعت بها الاسباب ، وهي بعد ذلك تعجز عن التفوق فيها على الرجل ، فتسقط في ميدان المزاحمة ، ومعترك الحياة ، فلا تنال منها إلا فضلات الرجل إن وجدتها

(المبدأ الثالث) على الرجل أن يقوم بأعمال الحياة الخارجية جميعاً ، ويكفل المرأة والعائلة ، ويكفيها أمر الرزق ، وهمّ العيش ، من الضروريات والكماليات ، على آخر مدى في طاقته ، كي تتفرغ هي لوظيفتها

(المبدأ الرابع) العائلة اجتماع صغير من عضوين اثنين هما ركناه أعني الرجل والمرأة ولا بد لكل اجتماع من رئيس تتركز فيه وحدة العائلة ، إذ لا بد لكل كثرة أن تنتهي إلى وحدة ، وما كان النظام إلا إرجاعاً للكثرة إلى الوحدة ، وأولى الاعضاء بالرئاسة أكثرهم كفاية ، وأشدهم قياماً واضطلاعاً بأمر الجماعة وأعبائها ، والرجل أكفى في ذلك وأقوم من المرأة ، وأكثر رشداً ، فوجب أن نسند اليه هذه الرئاسة في حقوق الزوجية ، وعليها طاعته في إدارة شؤن العائلة ثم هي حرة في نفسها فيما وراء ذلك : لها شخصية محترمة ، ولها أن تؤهل نفسها لبلوغ أعلى مقام في الفضل والادب ، وأن تسبق الرجل فيه ، فان بلغته وجب أن يعترف لها به وإنما هذه الرياسة شيء اقتضاه النظام ، وكم من مرءوس يفوق رئيسه فضلا وأدباً لا تعدو عليه الرياسة ، ولا تهضمه من حقه شيئاً ، ولا يقتضي هذا الفضل فيه رفع سلطة الرياسة عنه متى كانت لسبب وشيء آخر ليس له ولا هو أهل له

ولا تستكثرن المرأة هذه الطاعة، ولا تحسبنها هي أو أنصارها عبودية إلا ان تكون الرياسات والنظامات في الدنيا عبودية ، ولن يقوم امر الناس في جميع شؤنهم إلا على النظامات والرياسات ، وما من احد في الدنيا الا وهو رئيس اومرؤس ، فالحياة كلها رياسات ، فما بال هذا النوع من الرياسة يلحقه الشذوذ فيجحد ويستنكر دون سائر الانواع ؟ وكيف تستكثر المرأة ذلك على الرجل وتأبى عليه الطاعة؟ ألا يستحق ذلك بازاء مايجد ويكد ويضنى نفسه ويهلكها في سبيل عيشها وراحتها ؟ أم تريد أن تأخذ ولا تعطي ؟ وقاعدة العدل العام في الحقوق والواجبات ان من اخذ وجب أن يعطي ، ومن اعطى وجب ان يأخذ : عطاء حساباً ، وجزاء وفاقا

(المبدأ الخامس) العفة والحصانة والتنزه عن الريبة في الاعراض ضرورة من ضرورات الاجتماع العام في الرجال والنساء ، وعلى الاخص في العائلة والعلاقة الزوجية ، لهذا وجب فصل النوعين الرجال والنساء بعضهما عن بعض ، في مسارح الحياة ومسالكها ومشاهدها ، علي أن يكون هذا هو القاعدة وغيره شذوذاً يترخص فيه عند الضرورة في حيطة وحذر واحتراس ، وبناء على هذا يجب أن يكون جمال المرأة وزينتها ، وتكشفها متبرجة ، وسائر دواعي المتاع الجنسى ومنبهاته ومغرياته ، مقصورة على الزوج دون غيره ألبته تحقيقاً لهذا المبدأ وسداً لذرائع الوهن والفساد ان تتطرق اليه ، وليس من ضمان لذلك غير هذا الحاجز المادى وحده ، ما دام الانسان حيوانا ركبت في فطرته غريزة الشهوة قوية مغتلمة ، وأما غيره من المؤثرات المعنوية من الرياضات الاخلاقية ، والتهذيب الادبي ، فانما تعتبر مساعدة ومؤكدة ، أو فقل انها لا تعمل عملها إلا ان تكون عامن من ثورة ما هو اقوي منها كيلا يطغى عليها ويجرفها وذلك هو القوة الشهوانية إذا ثارت واحتدمت ، وليس في قوي الانسان ما يبلغ في حدته ثورة البراكين الهائجة المدمرة ، مثل الشهوة الجنسية عند الرجل والمرأة ، وهذا هو شأن الجماهير من الناس إلا النادر القليل جداً :

سيقول المعارضون ان التعليم والتهذيب وتقويم الاخلاق ، والارتياض بالآداب الخ ، كل اولئك كفيل بمنع هذا المحذور إذ تقوم منها حواجز معنوية ،

تغني عن الحواجز المادية ، نقول لهم كلا . كلا هذا خيال وثرثرة ، وتضليل ، هل تستطيعون بهذه الاسباب أن تصيروا البشر جميعا فلاسفة ، أو تحولوهم ملائكة ؟ إن استطعتم ذلك سلمنا لكم ، والا فان الواقع المشهود يكذبكم : هذه المدنية الغربية التي تدينون بها حتي بلغت عندكم حد العقيدة في الايمان قد بلغت المرأة فيها من التعليم والتهذيب على زعمكم ما كان موضع إعجابكم ، فماذا كان أثر ذلك في هذا الموضوع ؟ الناس جميعاً يعلمون ويشهدون فان لم تسكتوا وإلا ضربنا الكثير منكم مثلا ، وكفي بالكثير منكم عبرة ومثلا

قلنا ان العفة وصيانة العرض ضرورة من ضرورات الاجتماع : وذلك يرجع الى سببين (السبب الاول) ان الاجتماع يقوم على العائلة التي تقوم بحضانة النسل وكفالته وتهالك الرجل وتفانيه في تحمل اعباء العائلة والنسل - انما يقوم على الحنان الابوي ، والحنان الابوي انما يقوم على يقين الرجل الجازم بأن هؤلاء الاولاد بضعات منه منحدرات من صلبه ، وهذا اليقين لا يقوم الا على مبدأ عفة المرأة وقصرها في المتاع الجنسي عليه قصرا حاسما للشك ، حافظا عليه هذا اليقين ، فوجب أن تكون المرأة عفيفة . واختلاط المرأة بالرجال سبيل وذريعة إلى هدم العفة ، أو مزلزل لهذا اليقين ، فوجب منع هذا الاختلاط ، وفصل الجنسين

(السبب الثاني) مصلحة المرأة نفسها : المرأة محتاجة إلى الرجل ، يكفلها ويكفل نسلها ، والرجل في حد ذاته ونفسه ، غني عنها ، والذي يسخره لها ، ويقتاده رغم أنفه ، إنما هو حاجته اليها في المتاع الجنسى ، لا حاجة له اليها غير ذلك كما يقول شو بنهور الالماني ، فمن مصلحتها استغلال هذه الحاجة واحتكارها ، فلا تبذلها إلا بثمن ، لا تبذلها إلا لمن يتعاقد معها بعقد يلتزم فيه القيام بهذه الكفالة لها ولنسلها ، وذلك هو عقد الزوجية ، فان بذلت نفسها بغير ثمن لمن لا يلتزم هذا الالتزام ، أصاب الرجل منها حاجته مجانا ، فما الذي يدعوه إذن إلى الدخول في عقد يبذل نفسه وذاته ثمنا فيه بغير ضرورة ؟ وإذن فقد أسلمت المرأة بذلك نفسها ونسلها إلى الضيعة ، فأضرت نفسها من جهة ، وكان عملها هذا سببًا في منع الزواج ، فحالت دون بناء العائلة ، وهي الوحدة الاولى في بنية الاجتماع ، فأضرت بهذا الاجتماع

من جهة اخرى، لهذا كله كانت العفة ضرورة من ضرورات الاجتماع، فوجبت حمايتها من جميع المهددات والمحللات، واختلاط المرأة بالرجال وتبرجها بينهم بزينتها ومغرياتها أشد الاشياء أثرا في ذلك، فوجب منع كل ذلك

هذا هو تلخيص الوضع الاول. وهذا الوضع يستمد اصوله وفروعه من الفطرة، ويشتقها من الطبيعة والتجربة، وقضايا العقل وأقيسة المنطق الواقعي، مستهديا بواقع الامر من تاريخ الانسان، في ماضيه وحاضره، وأنت تري ان هذا الوضع مغزاه ومرماه انما هو تكريم المرأة وحمايتها وتوكيد الضمان لحياتها، حياة هادئة مطمئنة خالية من التعب والكد على العيش، وتحصيل الرزق، وحمل مؤنة ذلك على الرجال ورفعها عنها، وفيه حماية بدنها أن تشوه جماله مشاق الاعمال المضنية، وصيانة شرفها أن يثلمه دنس أو ريبة، ثم هو لا يتقاضاها ثمنا لذلك إلا شيئين اثنين فحسب، هما تجنبها مخالطة الرجال وطاعة الزوج، ولها بعد ذلك ان تبلغ من مراتب الكمال والاحترام والاستقلال ماتشاء.

﴿ الوضع الثاني ﴾ ويسميه أنصاره (تحرير المرأة) وماأجدره أن يسمى (تغرير المرأة) يقوم على هدم هذه المبادي، الخمسة معتمدا على مبدأ واحد يدعيه ادعاء، وهو أن المرأة مساوية للرجل في زعم اصحابه وأنه لا فرق بينهما الا في أعضاء الذكورة والانوثة فقط فهما يختلفان بالشكل لا بالمعنى، وعلى ذلك فالمرأة أهل لكل ما كان الرجل أهلا له لا يستثنون شيئا وعموا عن الواقع المشهود مما بيناه سابقا، ومن عمي أو تعامى عن الواقع ولم يراعه في حسابه فلابد أن ينتهي الى فوضى واضطراب يذروان الشرور في وجهه ذروا

عمد أنصار هذا الرأي إلى كلمات الحرية والمساواة، والعبودية والظلم وأمثالها، وهي كلمات ذوات تأثير على العواطف والمشاعر والخيال في هذا العصر الذي قويت فيه نزعة البشر إلى الثورة على جميع مظاهر الظلم والاستبداد والاستعباد: يأخذون هذه الكلمات مجملة مبهمة غير مفصلة ولا محددة، فيطلقونها اقنا بل ضخمة يقذفونها في وجوه خصومهم، فمنطقهم منطق الثورة والهيجان على غير هدى، لا منطق العقل والاناة والاستقرار – موجها إلى تلمس المصلحة على هدى وبصيرة، وليس كل ماتهدمه

الثورة ضاراً ، وليس كل ماتبنيه نافعاً ،ففيها النافع والضار ، كما ان القديم الذي ثارت عليه فيه النافع والضار ، لذلك كان لابد لكل ثورة من تصفية وتنقية يقوم عليها دور الهدوء والاستقرار

هذا هو تصوير هذا الرأي على أحسن وجوه الظن به وبمن يتحمسون له اذا اعتبرناهم طلاب اصلاح أخطأوا الصواب ، أما حقيقة أمرهم أو على الاقل غالبهم فشيء آخر سيأتي بيانه بعد ، وقبل ذلك لا بد أن نعرض لتمحيص ما وقعوا فيه من التخليط والتشويش ولبس الحق بالباطل فنقول : إنهم خلطوا بين المساواة في احترام الشخصية واستقلالها والمساواة في الوظائف والاعمال ، أما الاولى فهي مسلمة وهي حق لا يتحيفه ولا ينتقصه الا ظالم جائر تجب الثورة والانتقاض عليه ، وذلك حق يقرره الله تعالى في قوله (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) وقوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم اني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثي بعضكم من بعض) تأمل قوله تعالى (بعضكم) أليس هو المساواة بأتم معنى ، وأصرح عبارة ، وأحكم اداء ؟

وأما المساواة في الاعمال والوظائف ، فكلا ، لاسبيل الى ذلك بحال ، لانها انما تقوم على كفايات وأهليات واستعدادات يتقاسمها الناس متفاوتة بتفاوت هذه الاستعدادات والكفايات ، والمراء في ذلك هوس معناه أن يكون أمر الناس فوضي والا لجاز لكل أحد ان يباشر أى عمل إذا كان معني المساواة كما يفهمها هؤلاء ، فيجوز للنجار ، أو البناء مثلا أن يكون قاضيا ، ومحاميا ، وطبيبا ، وصيدليا ، وكيمياء وهكذا . وإذا كان هذا مستحيلا في تفاوت الاستعدادات تفاوتا غير طبيعي وانما هو تفاوت الثقافة والتعليم ، فما بالك بالتفاوت فى استعدادات الرجل والمرأة وهو امر طبيعي لا حيلة فيه : إذا كان هذا بينا واضحا مسلما ، فاعلم ان توزيع أعمال الحياة ووظائفها بين الرجل والمرأة على البيان السابق انما هو توزيع على الخصائص والاستعدادات ، لا توزيع كرامات ، ومجاملات

إذا تأملت هذا المذهب والوضع الذي يضع المرأة فيه وجدته في مآله ونتيجته انما ينتهي إلي ضياع ضمان المرأة في الحياة ، واسلامها إلى الضيعة والهوان ،

وتعريضها للشقاء والحرمان ، فاذا ما طبع الاجتماع بطابعه واصبح أمراً مقضيـاً تقطعت بها الاسباب ولا تجد لها راحما : وبينما المذهب الاول يصونها ويحميها ، ويضمن لها حياة هادئة هانئة سعيدة ، في رفاهية تناسب رقة مزاجها ، ودقة شعورها ، ويحمل عبء ذلك على الرجال ، ويجعله فرضا محتوما على المجتمع : إما على الازواج أو الاقارب ، وإما في الاموال العامة ، ويقول لها اجلسي في بيتك هادئة وادعة ، مصونة مكرمة ، وعلى أنا جميع ما تطلبين وتشتهين ، انا به كفيل وزعيم - إذا بهذا المذهب الثاني يقول لها اخرجي فاطلبي رزقك ، واسعي على عيشك ، وشاطرى الرجل كده ونصبه ، ولا تنتظري الرحمة من أحد ، ويقول لها أيضـا ما لك تتجنبين الرجال وتعتزلينهم ، دونك خالطيهم ، وامرحي معهم ، غازليهم ليغازلوك ، وداعبيهم فيداعبوك ، وتزيني لهم وتفنني في الزينة ليفتتنوا بك حتى يعبـدوك ، ففي هذه المخالطة والمداعبة وهذا المرح لكل منكما متاع ، وما الحياة إلا متاع ، بهذين الكلامين اللذين وسوسوا بهما إلى المرأة وخدعوها فيها بكلمتي المساواة والحرية ونحوهما جلبوا عليها جميع المصائب والاضرار التي بيناها اثناء الكلام على المذهب الاول ، فوقعت فى الاسر والعبودية ، وباءت بخسارة عظيمة فادحة كما سمعت ذلك من أقوال علماء الافرنج وكتابهم التي سردناها قبلا ، كما جر أوها على افساد المجتمع وضربه بتلك الضربات السبع التي سبق بيانها فى الفصل الثانى من هذا البحث

أما اسرها فى ميدان الاعمال ، ومعترك المزاحمة ، فلأن تفوق الرجل عليها بقوته يمكنه من القبض على ناصيتها فيستعبدها ويستغلها بأجور قليلة ، ولا تنال من ذلك إلا فضلاته ، وأما اسرها في ميدان اختلاطها بالرجال فبسبب تورطها في مخادنة الرجل ، يتخذها خليلة فاذا هي ذات أولاد ذوي نسب ضائع فتقع تحت رحمته بغير ضمان ، يعبث بها نزوعا إلى التخلص منها بعد قضاء الوطر فتضطر هي إلي مصانعته في ذلة وملق مخافة غدره ، وما الوفاء من شيم هؤلاء الاخدان .

ألا فليقل لنا القائلون أيصح بحق تسمية هذا المذهب (تحريرا للمرأة) ام الاجدر به أن يسمي (تغريرا بالمرأة)

هذا المذهب في الحقيقة يستمد اصوله وفلسفته من النزعات الشهوانية ، والغرائز

البهيمية ، والحياة الحيوانية في المدنية المادية ، وقد سبق بيانها ، فاذا ماجاء دورها كما سبق بيانه ، اندفع الناس متهالكين على حياة الشهوات والملذات المادية وثارت فيهم هذه الغرائز الحيوانية في نهم شديد ، وجوع مستعر ، فيتحالون لها ، ويتفننون في وجوه الحيل ، فيصوغون لها هذه الفلسفات المضللة التي تناسبها ، وتؤدي بهم اليها وتنيلهم منها الارب ، يشتهي الرجال النساء ويرغبون أن يلهوا معهن ويستمتعوا بهن في اباحة واسعة على اعظم حظ من اللهو والمتاع ، فيجد الرجل المرأة منعزلة عنه في الحياة العامة ، منصرفة إلى حياة البيت والعائلة لا تنالها يده ، فيأخذ فى الحيلة لاخراجها (ولا تعوز هذا الانسان حيلة) فما يزال بها اغراء واستدراجا يحتال عليها بهذه الفلسفات المنمقة حتي يخرجها فيلهو بها ويعبث بها كما يشاء ، وله من ذلك الغنم وعليها الغرم وهي بلهاء لا تدرى سوء العاقبة ، فحديثه معها هو حديث القط مع الفأر وفلسفته معها هي هذه الفلسفة ، وقد عرفناك فلا تنس — ان للباطل فلسفة كما أن للحق فلسفة

***

ايتها المرأة ، إما ان تكوني انسانا عاقلا رشيدا يعرف قيمة نفسه ويقدرها قدر الكرامة فيعمل لنفسه ولأمته ووطنه ، ويري أنه عليه نصيبا من الجهاد في اصلاح المجتمع ورفعة شأن الوطن كما تقولينه بلسان جماعاتك ونواديك وزعماتك ومجلاتك وكاتباتك ، فهذا سبيله العقل والرشد والنظر السديد ، وإكبار الحق ، والاذعان لقضاء الحقائق ، وقد خاطبناك في هذا البحث بمنطق هذه الخلال ولغتها جميعاً ، وأنت جديرة إن كنت كذلك أن تكوني شريكة الرجل وعونه حقا على الاصلاح ورقى الامة ، ورفعة الوطن ، وإما أن تكوني غير ذلك لا تبالي بمصلحتك ولا بمصلحة الامة والوطن ، فتجني عليهما وعلى نفسك البلاء ، فتكوني محل النقد ، وعرضة للساخرين والمتهكمين ، وتضعي نفسك موضع الأرعن الاحمق الطائش ، الذي لا يعرف من معنى الحياة إلا اللهو واللعب ، ومرح البله والصبيان ، وذلك موضع من يستحق الزجر والتأديب ، لا من يستحق الاحترام والتكريم ، وهذا ما لا نرضاه لك فأنت منا ونحن منك على ما تعلمين : أنت أمنا وبنتنا وأختنا وزوجتنا

ونحو ذلك أصولا وفروعاً وحواشي على عمود النسب ، وأنت كذلك جزء متمم لنا ، لا يتجزأ عنا ، فغيرتنا عليك غيرتنا على أنفسنا

إنا نراك تعبدين الجمال وترينه خاصة نفسك ، وتدلين به علينا ، فلو لم يكن في المسألة غير هذا لكان كافياً فصل الخطاب : انظري في هذين المذهبين اللذين عرضناهما عليك وهما مرآتان كل منهما تصفك وتصورك ففي أيتهما وجدت جمالك ناضراً بهيجاً مصوناً ؟ هل وجدته كذلك في الاولى التي تصفك جميلة بهية ناضرة كالوردة الندية الشذية في البستان الظليل ، أم في الثانية التي تصفك خلقا مشوهاً قد لفحه هجير الحياة الخارجية ، وأضناه كد العمل ، وأحرقه حر السعير ، أو كالوردة الذابلة من كثرة ماتداولتها أيدي الشميم ؟

ها نحن أولاء قد محضناك النصح بليغاً خالصاً ، والخيار اليك فانظري ماذا تختارين ، نسأل الله لك التوفيق ، وأن يهدينا وإياك السبيل ؟

الفصل السابع

(كلمة واعية)

أنا اعلم أني لا أعدم من المتهكمين من يطلع على مثل هذا البحث فيندفع مقهقها يغرق من الضحك والسخرية قائلا ، ما هذه الاحلام ؟ وماذا يغني التشبث بهذه الأوهام ؟ ما هذا السبح الطويل في عالم الخيال ؟ والاماني التي تفزعون إليها حينما يفزعكم الواقع ، وتأنسون بها حينما يوحشكم الحاضر المشهود ، ومن غلب على أمره حلم بالانتصار في عالم الخيال ، ومن اوحشه الواقع تعزي بالاماني والاحلام

أفتطمعون بكلمات تخطونها ، وأبحاث تنمقونها ، وأماني تتخيلونها ، ان تغيروا من هذا الواقع الثابت شيئا ؟ هذه احوال وشؤن استقرت عليها امور الدنيا ، وبلغت من القوة والاستقرار رسوخ الجبال الرواسى في نواصي الارض رغم انوف المعارضين من الاولين والآخرين ، فهل تقفون في وجه الدنيا بأجمعها وقد احيط بكم من كل مكان ؟ وهل انتم إلا صرعي في ميدان ، أوغرقي جرت الرياح بما لا تشتهي سفنهم في لجة الطوفان ، هل ينجيهم من الغرق شيء وان صرخوا

بألف حجة واستغاثوا بألف برهان ، أريحوا انفسكم واذعنوا للواقع واسلموا له ، فانه الواقع كما تبصرون لامرد له

وجوابنا لامثال هؤلاء أن نقول لهم « إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون » هؤلاء هم ضعفاء العقول ، وقصار النظر الذين نسميهم بحق (غرقي البيئات والعصور) ومعني ذلك ان الناس رجلان : رجل هو ابن العصر ، ورجل هو ابن الدهر ، اما الاول فهو رجل قصير النظر ، مغمور في بيئته وعصره لايتجاوز نظره افق عصره ، ولا يمتد الى خارج بيئته ، فمنطق هذا وعقله وتفكيره انما هو في الحقيقة حكاية العصر وصورة البيئة ، فهو حكاية وصورة وليس بعقل ولا تفكير ، وان كان على صورة العقل والتفكير ، وما كان واقع العصر ولا كانت طبيعة البيئة صنو الحق ولا اخت الحقيقة دائما

وأما الثاني فهو رجل حديد النظر مديده ، بعيد المدى ، ينفذ نظره من عصره الحاضر الى سائر العصور الخالية والمنتظرة يشرف عليها جميعا ، بل يمتد من الازل الى الابد ، فموقفه من عصره وبيئته موقف الراصد على الرابية يطل على جميع الآفاق ، لاموقف المطمور في مكانه لايبصر إلا حيزه الذي يحويه ويشتمل عليه ، مثل هذا الرجل يري ان العالم يتغير دائما وان الاعصار تتناسخ على الدوام ، وان أي بيئة مهما استقرت ورسخت فهي الى زوال ، وان شؤن الناس انما هي تقلبات وأحوال ، يثبت هذا ويرسخ حتي يقال لايزول فاذا هو زائل ، وينمحى هذا ويزول حتي يقال لا يعود فاذا هو عائد ، مثل هذا الرجل ان فاته الحاضر انتظر الآتي ، وإن أيأسه اليوم عرف ان دوره ونوبته تنتظره في الغد (وتلك الايام نداولها بين الناس)

مثل هذا يعلم ان ثمرات المستقبل انما تلقي بذورها في الحاضر ، وقد يكون الحاضر على أشد قوته وقد ألقيت في أحشائه بذور المستقبل الذي سينسخه ويبطله لايحس بها الآن ولكنها تنمو في جوفه على غفلة منه لا يشعر بها وهو مستغرق في غروره وتهوره واعتداده بقوته ، فما هي إلا برهة من الزمن فاذا هو قد صدمه الواقع ، وفاجأته العواقب بالعجائب ، وبدا له مالم يكن يحتسب ، وكان أمرا

مقضيا ، وهذا هو شأن جميع الانقلابات الهائلة التي شهدها العالم ، ماوضعت بذور اللاحق منها إلا في عصر السابق وايام سطوته

وتلخيص ذلك وحاصله يرجع إلى أمر ذي بال يجب الانتباه له ، وهو ان العقل عقلان ، عقل تقليدي وعقل منطقي ، أما الاول فهو شيء صنعته البيئة، وصاغه العصر مطبوعا بطابعه ،فهو نسخة البيئة وصورة العصر ، ولذلك فهو اذا فكر وحكم لايكون إلا مطابقا لها ، لا يستطيع مخالفتهما ،ولا يطيقها ، اذ هو عين صانعه ، وصورة صائغه ، والشيء يستحيل عليه ان يخالف نفسه أو يكون غير ذاته ، وهذا هو السر في ان عقل هؤلاء المفتونين في كل بيئة وزمان كما ترى لا يطيقون ان يتصوروا غير ماهم عليه،أو يخالفوا غير ماحبب اليهم وألفوه ،لاتنجع فيهم موعظة ، ولا تنفع فيهم حجة ، ولا يؤثر فيهم برهان ،حتى أنهم لو عقلوه ماوجدوا انفسهم تطاوعهم اليه ولاتستجيب له

واما الثاني فهو قوة قائمة بنفسها مستقلة عن غيرها،تنظر الى الاشياء مستقلة عنها ،فما يوافقها وما يخالفها ومايلابسها وما يفارقها ،كل هذا لديها عند النظر سواء تحكم على الاشياء ولا تحكم الاشياء عليها ، تعطي الاشياء قيمها الذاتية لا تؤثر عليها في ذلك ملابسة ولا مفارقة ،فهي ثابتة والاشياء بازائها متقلبة متحولة ، هي مقياس الاشياء وليست الاشياء مقياسا لها ،ولذلك فليس من الضروري ان ترضي عما كان ولكنها تنظر فيما ينبغي ان يكون ، وهذا هو السر في ان أهل هذه الموهبة من افذاذ العقلاء،وأعلام المصلحين،يخرقون اجماع عصورهم، ويثورون على بيئاتهم ، وينزعون إلى مخالفة الجماهير فيما ألفوه ، لا يبالون بهزء ، ولا يردهم تقريع ولا تشهير،حتى يعلنوا ما ارشدهم اليه العقل ،وهدتهم اليه الحقيقة ، وأملاه عليهم الصواب ، وماهي الا مشاغبات من الباطل تنتهي إلى غلبة الحق المعقول على الباطل المألوف (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)

لهذا اري انه يجب على أهل العلم ، وذوي الرأي ، وأرباب القلم ، ورجال الاصلاح فينا وقادة الامة، الراشدين منا ان يدعوا أهل الجهل والغرور في غيهم وغرورهم ، ويشتغلوا باستئناف البحث في جميع شؤوننا واخلاقنا وآدابنا وأوضاعنا من جديد ، فقد آن لنا ان نقدر أنفسنا قدرها ، ونعرف لها كرامتها ، ونغريها بالانفة والعزة والكبرياء ونحبب اليها الاباء والشمم ،لقد آن لنا ان نستنكف من هذا المسلك الشائن المعيب ، مسلك التقليد والاندفاع في تيار هذه المحاكاة العمياء المضللة التى تغري اوربا بنا فتتخذنا قرودا لها تلهو وتضحك بمحاكاتهم اياها ثم تشجعنا لتوهمنا اننا على صواب ، وانما تريد اللهو والضحك ،اذ هي تعلم أن ذلك إنما هو مجرد محاكاة وتضحك ولا تفيد شيئا ، أوهي تريد بذلك استغفالنا تغرينا بالتورط في أسباب ضعفنا ليدوم لها استغلالنا ، وابتزاز اموالنا ، واستئثارها بمنافعنا ، لقد كفانا من شرور هذا التقليد وسوء آثار هذه المحاكاة الشائنة ما أصبح رأي العين ،ولمس اليد ، ومزلة القدم ، وخزي الوجوه ، ومثار الحسرة ، ومبعث الندم ،

يجب ان نستأنف البحث من جديد ، وأن نختط لانفسنا ولأمتنا وللشعوب الشرقية التي تقتدي بنا خططا رشيدة نستقبل بها مفاجآت المستقبل ، وتقلباته المنتظرة، لتقع منه موقع الوفاق والمطابقة فان من يرصد هذا المستقبل (بتلسكوب) الحاضر يلمح اتجاهه إلى الثورة على هذه الاوضاع والتقاليد والبدع التي رثت في بلادها ، وأفسدت الحياة على أهلها ، ثورة تأتي على بنيانها من القواعد فتدكها دكا وتدمرها تدميرا ،ويقيننا انه سوف يرجع إلى ماعندنا من أصول الحكمة ومبادىء الهداية الشرقيه وأخصها الاسلامية ، سوف يفزع إلى ميراثنا وكنوزنا المطمورة ليستخرج منها جواهرها وبدائعها ونفائسها التي كان يعرف قيمتها آباؤنا فكانت لهم مصدر حياة طيبة وخير عميم وقوة قاهرة وملك عظيم ، ورثناها عنهم على سفه وجهل باقدارها فلم نحسن القيام عليها ، بل زهدنا فيها، وحقرنا من شأنها ، فذهب ملكنا، وضاع مجدنا، فاتهمناها بمصابنا وما لها ذنب وانما هو ذنبنا، اتهمناها ظلما فعاديناها وأعلنا عليها حرب الفناء جهلا للتخلص منها فعفينا على آثارها وقبرناها ،ثم أصبحنا

بعدها عالة على الناس فقراء شحاذين نستجديهم ما في أيديهم في ذلة مخزية وملق أليم، ولا ينالنا منهم على ذلك الا فضلات موائدهم و لقاطات قماماتهم طعاما، وغسالات أيديهم شرابا، وما كان اغنانا عن هذه الخيبة، لو كان فينا رشد لاستغنينا بما عندنا من الكنوز والدفائن الغنية الثرية وكاثرنا الناس بها فكثرناهم و تبدل الموقف، فكانوا هم الآخذين عنا وكنا نحن المعطين، ولكننا ورثة سفهاء أغبياء، فنحن اصل الداء، وعلة البلاء، وشماتة الاعداء، وخيبة الرجاء، ومعرة الآباء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من العجب أن نري هؤلاء المتفرنجين الذين جلبوا الينا هذه المخازي موسومة بسمة المدنية والحضارة يعمون ويتصامون عن هذه النذر والقوارع التي تصخ الآذان في بلاد هذه المدنية فتدوي في العالمين مؤذنة بدنو الثورة التي ستدمر هذه الاوضاع الباطلة الكاذبة المجرمة، وتنسف صروحها نسفا، ثم تراهم في بلاهة لا يزالون يدافعون عنها ويطالبون باستكمال البناء عليها، فما يفرغ الناس منه ويتجهون إلى وجوب هدمه لعدم صلاحيته وسوء أثره، يبتدئون هم بتجديده وتشييده على أن مآله الهدم من قريب، فمثلهم كمثل من يبني فيفاجئه الهدم قبل تمام البناء

اذا عرفت هذا فاعلم اننا لا نطمع في حاضر اليوم، وإنما نعمل للغد، وقصارى أمرنا أن نلقي اليوم بذور هذا الغد، وما كان لغارس ولا باذر أن ينتظر الثمرة من غرسه، أو الحصاد من بذره - في يومه، وإنما ينتظرها بعد حين، وأول خطوات الانتقال إنما هو الاقناع والاقتناع

هذا - ويعلم الواقفون على أحوال العالم اليوم وتقلباته اننا انما نبذر ونغرس في اقبال من الزمان، ودنو من أيام الموسم، إذ أن العالم اليوم في اضطرابات شديدة ستتمخض عن انقلابات عجيبة يقذف فيها بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق، ولهم الويل مما يصفون، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، فانتظروا إنا منتظرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

الفصل الثامن

(مناقشة الدكتور المحامى فى القضية السابقة ومن على شاكلته من المتفرنجين)

يا حضرات الدكاترة . ولا نعني إلا امثال هذا الاستاذ المحامي ومن على شاكلته مثل هذا المحامي الآخر الذى دافع عن راقصة ضبطها رجال الشرطة من مرقص بديعة مصابني لانها تعدت حد القانون في رقصة فاجرة رقصتها (وما كان الرقص كله إلا فجوراً) فجاء هذا المحامي ليدافع عنها أمام القضاء، وكان في دفاعه عن هذه الراقصة على غرار صاحبه وطرازه كما نشرته عنه مجلة الصباح في عدد ١٧ اغسطس سنة ٩٣٤ نعني امثال هؤلاء الدكاترة ، ومن على شاكلتهم من المتفرنجين ونخصهم بالكلام.

يا حضرات الدكاترة ، لقد عظمت البلوى بكم وبأمثالكم ، ونكبت الامة من قبلكم ، وعظمت ، وايم الله فيكم المصيبة ، ماذا انتم ، وماذا تعلمتم ؟ وماذا درستم ، وباى ثقافة وكفاية تخرجتم فقد والله حرنا في امركم : بأي عقل تفكرون؟ وباي بصيرة تستهدون ، وعلى أي مقاس تقدرون ، اي علم واى فلسفة أوحت اليكم أن تنفثوا هذه السموم في جسم الامة، وتنشروا فيها هذا الوباء ولا تبالون؟ اما لكم اعين تبصر الواقع ، وتصفه لكم ، اما لكم آداب تزجركم ، اما لكم ضمائر تلذعكم : خبرونا أتستبيحون تسميم هذه الامة المبتلاة بكم ، فتدنسوها بهذه الافكار الرجسة تبريرا لاجوركم ، وترويجا لمكاسبكم : ان كانت هذه فيا للفضيحة والعار والخسة والدناءة ، ام ترتكبون ذلك ترونه قضاء حق للامة في اعناقكم ووفاء دين لها عليكم ، إذ تزعمون أنكم طبقة المتعلمين المستنيرين فيها، وانكم اولو علم ونظر ، واصحاب دراسات ناضجة ، وفلسفات عالية ، وانكم من علماء الاجتماع واطبائه، وفلاسفته فتتبوءون فيها مراكز الزعامة وتأخذون منها بأزمة القيادة ،لتنهضوا بها وتسددوا خطاها إلى طريق الصلاح والتقدم: إن كانت هذه فانها في الواقع نهضة ولكن إلى ماذا ، حقا انها نهضة ولكن إلى الهاوية ، وما انتم والله بعلماء ولا زعماء ، ولا فلاسفة ، ما انتم من ذلك في كثير ولا قليل ، وانما انتم فتنة وبلاء وشر مستطير ، ولا تغرنكم الشهادات الدراسية، وألقابها الرسمية،

فهي لاتغنى في ذلك شيئا ، إذ انها لاتدل على اكثر من أنكم قضيتم سنين عدة في المدرسة ، وان مقدارا من المسائل والنظريات العلمية القي اليكم في المدرسة ، فاستظهرتم منه نصيبا كفي سرده في موقف الامتحان : ليس في الشهادات دلالة على اكثر من ذلك ، أما ان هذا الغذاء العلمى نضج في عقولكم ، وهضمته افكاركم ، فانتفعتم به عقليا وروحيا ، وادبيا ، واخلاقيا ، وتميزتم به عن الببغاء ، أو الاسطوانة الحاكية ، فهذا لا يدل عليه إلا مجال التطبيق العملى ووجوه تصريفكم لما حصلتم من ذلك مثل هذا المجال الذى ننازلكم فيه في هذه المسألة

قال القاضي المستر ، وغضب قاضي القضاة اللورد ، وهاج الرأي العام ، فهنأ المجددون المرأة ، وقال المحافظون ياللنكبة الخ ماروبت ، ولكن اين انت مما حكيت؟ أين انت يا دكتور التشريع ، وحكيم الاخلاق ، وفيلسوف الاجتماع ، أليس حظك مما تحكيه اكثر من حكايته ؟ بخ بخ يا دكتور : قل لنا كيف استقبلت عقليتك التشريعية أو الاخلاقية هذا المبدأ الذى وضعه القاضي الانكليزي ؟ أليست اصول التشريع وفلسفة الاخلاق تقومان على مبدأ : ماذا يضر وماذا ينفع ؟ فهل درست اثر هذا المبدأ عمليا في الأمة سلبا وايجابا ، ام هو شيء تلقفته تلقفا ببغاويا وتقبلته تقبلا أعمي تقليديا ، وكان البرهان على صحته عندك جنسية القائلين به وكفي انها افرنجية؟ أما اكتفيت من البرهان بحكاية ما قالوه : قالوا إن الاخلاق ليست إلا كائنا حيا يجب ان يتطور تطورا بيولوجيا : بخ بخ يا استاذ ، يكفينا أن تغرب علينا فتحكى هذه العبارة بلغة فنية مضافا اليها كلمة التجدد لتزعجانا فتؤمن عقولنا ، وتخرس ألسنتنا ، ويكفينا من مقامك العلمي انك كنت في اوربا في جامعة كمبردج : ياناس . صدعتمونا بهذا الهذيان ، فلا كانت الدكاتير من هذا النوع ، ولا كانت هذه الدكترة ، لو عقلت يا دكتور كلمة التطور البيولوجى ، وكلمة التجدد ، لكفيتنا مؤنة البحث معك ، أفتحسب ان كل تطور بيولوجي ، أو تجدد انتقالى ، يكون خيرا وصلاحا ، أليس المرض تطورا بيولوجيا ؟ أليست الشرور والمفاسد تجددا انتقاليا ؟ أليس من التطور البيولوجى ما يعد نموا فاسدا كداء الفيل والامراض السرطانية وسائر الاورام الخبيثة ؟ وإذن فقد اتسع معني التجدد

والتطور البيولوجي للخير والشر ، فوجب أن يلحقهما التحديد التشريعي ، والنقد الاخلاقي ، وان ابيت الا التمسك بالتطور البيولوجي فاعلم أن آثار الاصلاح والتحديد التشريعي ، والتقويم الخلقي ليست إلا تطوراً بيولوجيا ، بل هذا شأن جميع المهن والصناعات التي تعالج عوالم الاحياء جميعاً نباتية ، وحيوانية ، وانسانية ، كالفلاحة ، والبيطرة ، والطب ، والتعليم ، والقضاء والادارة الخ

تأثير هذه الاشياء في عوالم الاحياء وتأثرها بها ليس إلا تطوراً بيولوجياً وإذا صح منطق الدكتور وجب أن تبطل هذه الصناعات وتلغي جميعا : إذا عقلت هذا! فاهمس به في اذن أخيك صاحب القضية الثانية ، ثم اهمسا به في آذان سائر اخوانكم من البيولوجيين والمجددين

ياحضرات الدكاترة ، وأنصاف الدكاترة ، أما تقع أعينكم ، ولا يعلق باذهانكم من اوربا إلا أوساخها واقذارها وسمومها التي إن احتملتها بنية أوربا القوية فلا تحتملها بنيتنا الاجتماعية على ضعفها وخداجها ، أما لكم آذان تسمعون بها أنات زعماء هذه المدنية وتأوهات ذوي الرأي والنظر البعيد منهم يتضجرون منها ، ويتبرمون بها ؟ أما لكم قوة تمييز تحسون بها فشل هذه المدنية ؟ وتلمحون اتجاهها صوب نكبة الخراب ، واهلها يتوقعون ذلك منها توقعا لا يستريبون فيه : وقد ترادفت النذر ، وتتابعت القوارع تتجدد كل يوم منذرة بسوء المصير (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب)

الحق بين في نفسه ولكننا نعلم أن عقليتكم تقليدية بحتة ، ولا يقع الكلام منكم أي موقع إلا إذا جاءكم عن طريق الافرنج : وقد عرضنا فيما سبق طائفة من أقوال كتابهم وزعمائهم فنكتفي الآن بعرض رأي عظيم أمريكي وكاتب انكليزي نشرتهما إحدي المجلات المصرية [1] تحت عنوان المرأة الاميركية قالت المجلة

« نالت المرأة الاميركية حقوقها (تأمل تناقض كتابنا وغفلتهم ينتقدون

---

(١) هي مجلة العروسة في ٣٠ مايو سنة ١٩٣٤

مثل ذلك ثم يسمونه حقوقا) بعد نضال عنيف كان أشده ماوقع في عهد الدكتور ولسن رئيس الجمهورية الاميركية أيام الحرب العظمي ، والمرأة اليوم في أمريكا عاملة وصحفية ومخترعة ، وموظفة في الحكومة ، ومشرفة على إدارة بعض الولايات الامريكية ورياضية وممثلة وطيارة ومغامرة وناخبة ونائبة ووزيرة . وقد ادت الحرية الواسعة التي أصابها النساء هناك إلى بعض ضرر ظهر في تبرم الامريكيين هذه الايام من مزاحمة النساء للرجال في اعمال الحكومة ، والاشغال الحرة والمصانع ، واليكم آخر حديث (للمستر روزفلت) رئيس الولايات المتحدة حول المرأة بل خلاصة آراء هذا الرجل وسياسته ازاء نشاط الحركة النسائية الامريكية

(انا لا انكر حرية المرأة ولكني استنكر أن تصل نتائج هذه الحرية إلى قطع أرزاق كثير من المتعلمين في وظائف البلاد بسبب امتلائها بالنساء ، لا يرضيني ان أري العمال العاطلين في حاجة ماسة إلى أعمال يعيشون مع عائلاتهم من ورائها بينما هذه الاعمال تصيبها المرأة ولا يجدها الرجل لانها تعرض نفسها بأقل الاجور في الوقت الذي هي فيه في غير حاجة إلى مال ، في الوقت الذي تكون فيه متزوجة ، هذه حال تعرقل الحياة الاقتصادية والنهوض الذي نريده ، إذ يجب على المرأة المتزوجة أن تنهض بالبيت وان تنظمه وتهيء للامة الامريكية رقيا في بيتها واسرتها ، وعلى الفتاة أن تتزوج وتعيش من كدح زوجها لا من كدح ذراعها حتى تقتصد البلاد تلك النفقات التي تدفعها للعاطلين حينما يشغلون الاعمال التي يشغلها النساء ويتسنى أن نربح من جهود المرأة في دائرة البيت اضعاف ما نربحه من جهودها في الاعمال الاخري) — تأمل — ثم قالت المجلة

ومن هذا الحديث تتضح فكرة الرئيس روزفلت في مقاومة المرأة لمزاحمتها الرجال في الاعمال ولكننا لم نعرف رأيه في استهتار النساء الامريكيات ، وانحطاط اخلاقهن وحياتهن الزوجية الاجتماعية التي يشرحها الكاتب الانكليزى (جامس دوجلاس) في قوله الذي نقتطف منه الآتي قال

الرجعية النسائية الامريكية : هذه رجعية تعود بالحضارة إلى الوراء .

فالاستهتار بحقوق الرجل في الزوجية وحدوث الطلاق لأوهي الاصباب

وتكبيد الرجل بأفدح النفقات والمعاشات للزوجة وارهاقه وسجنه من أجل ذلك كل هذه أشياء فوضوية تجعل المدنية في حكم البربرية (تأمل) المرأة تدير عصابات المجرمين والسفاكين ولا ترهب القانون وتستغل شرائع الطلاق والزواج لمصلحة مزاجها (كذا) واستعباد زوجها وتسيير وتعمل وتسهر على كيفها (كذا) وتندفع وراء الشهوات والموبقات ، وتغري الشبان إغراء مباشراً بارتكاب الجرائم في سبيل حبها (تأمل) وتنشر الرذائل والفساد في كل الاوساط (تأمل)

« هذه فوضى شاذة في القوانين (تأمل) يجب تلافيها بتعديل مسائل الارتباط والانفصال الزوجي ، ومراعاة حقوق الرجل (تأمل) بحيث لا تزيد عنه المرأة وتستعبده وتهدده بالطلاق والنفقات ، وتتخذ الزواج ألعوبة تلهو بها ، وتجعل من الحرية سلماً إلى الفوضوية الاخلاقية (تأمل) »

ثم قالت المجلة « وهذا المفكر محق ، وكان حرياً (بروزفلت) أن يحد قليلا من حرية المرأة ، ويعني بقوانين الزواج والطلاق المضطربة الآن في بلاده حتى يبني البيت الامريكي على أساس قويم ، فاذا ما دخلت اليه المرأة بعد إقصائها عن الاعمال العامة وجدته مستقراً متيناً (كذا) تستطيع أن تخدم بلادها بين أركانه ، أما اليوم وهو كما يصفه هذا الكاتب الانجليزي وكما تدلنا عليه حوادث التهتك الامريكية ، وتفشي الطلاق الذي لم يعرفه الامريكيون من قبل - فهذا هو الخطر الاجتماعي ، وضياع الاستفادة من المرأة الامريكية خارج البيت وداخله » اه

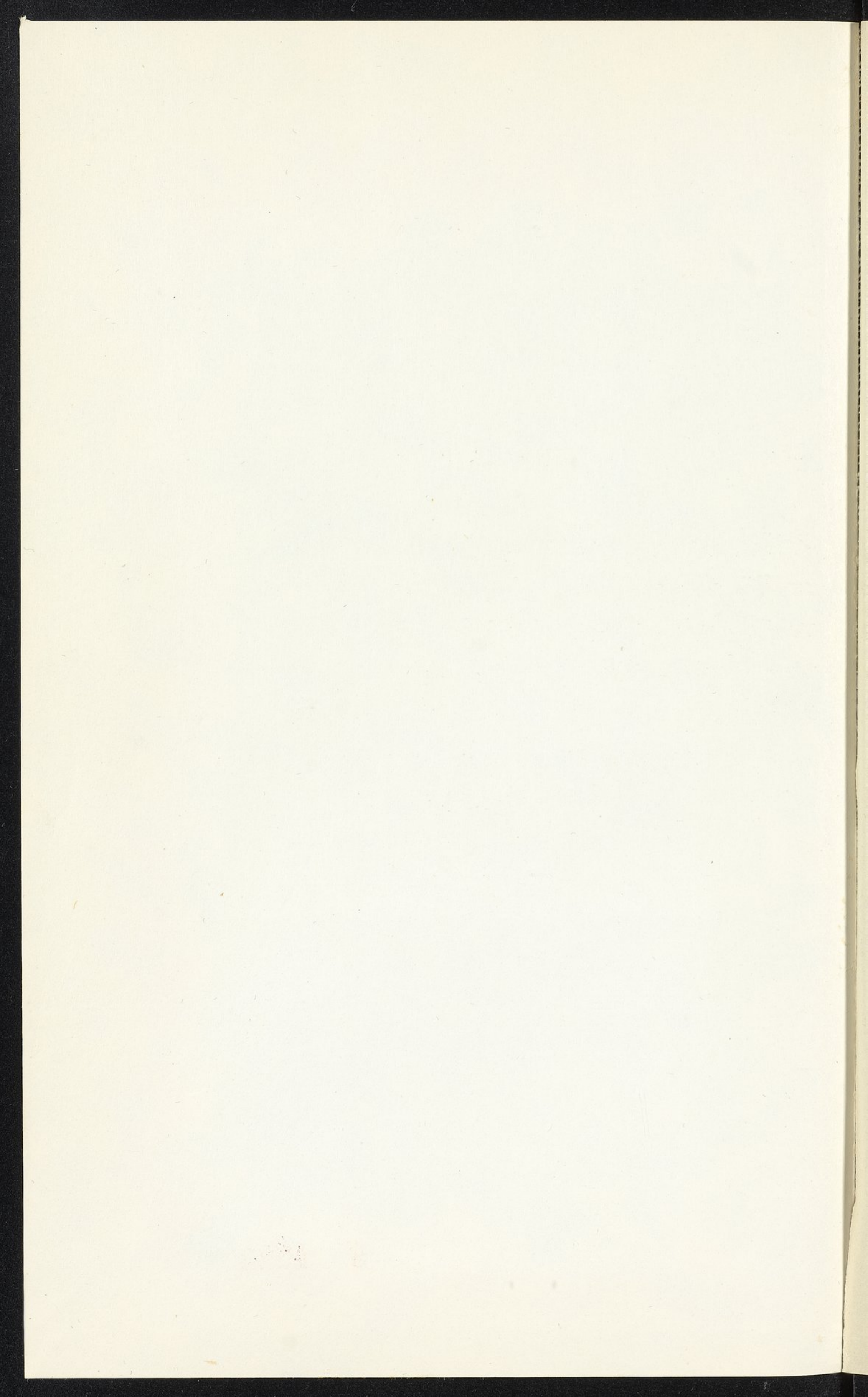
خبرونا أيها الدكاترة الذين عنيناهم : ماذا ترون ؟ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ إنا نعلم ان مثل هذا الكلام ، وهذا الضرب من الموعظة ، لا يجد منكم ولا من كثير من الناس إصغاء ولا تقديراً ، ولا يرفعون به رأساً : أولئك الذين إذا ذكروا لا يذكرون وان يروا آية يستسخرون ، ولكنها الحقيقة عرضناها كما هي ، فبرزت صريحة سافرة في وضح النهار صارخة في وجوه هؤلاء تؤنبهم وتنذرهم سوء المصير ، تقرعهم على هذا التعامي عن الواقع ، والتصام عن صوته الصارخ وهو يصخ الاذان ، ويسمع الصم من مكان بعيد ، انها لا تعمى الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ؟

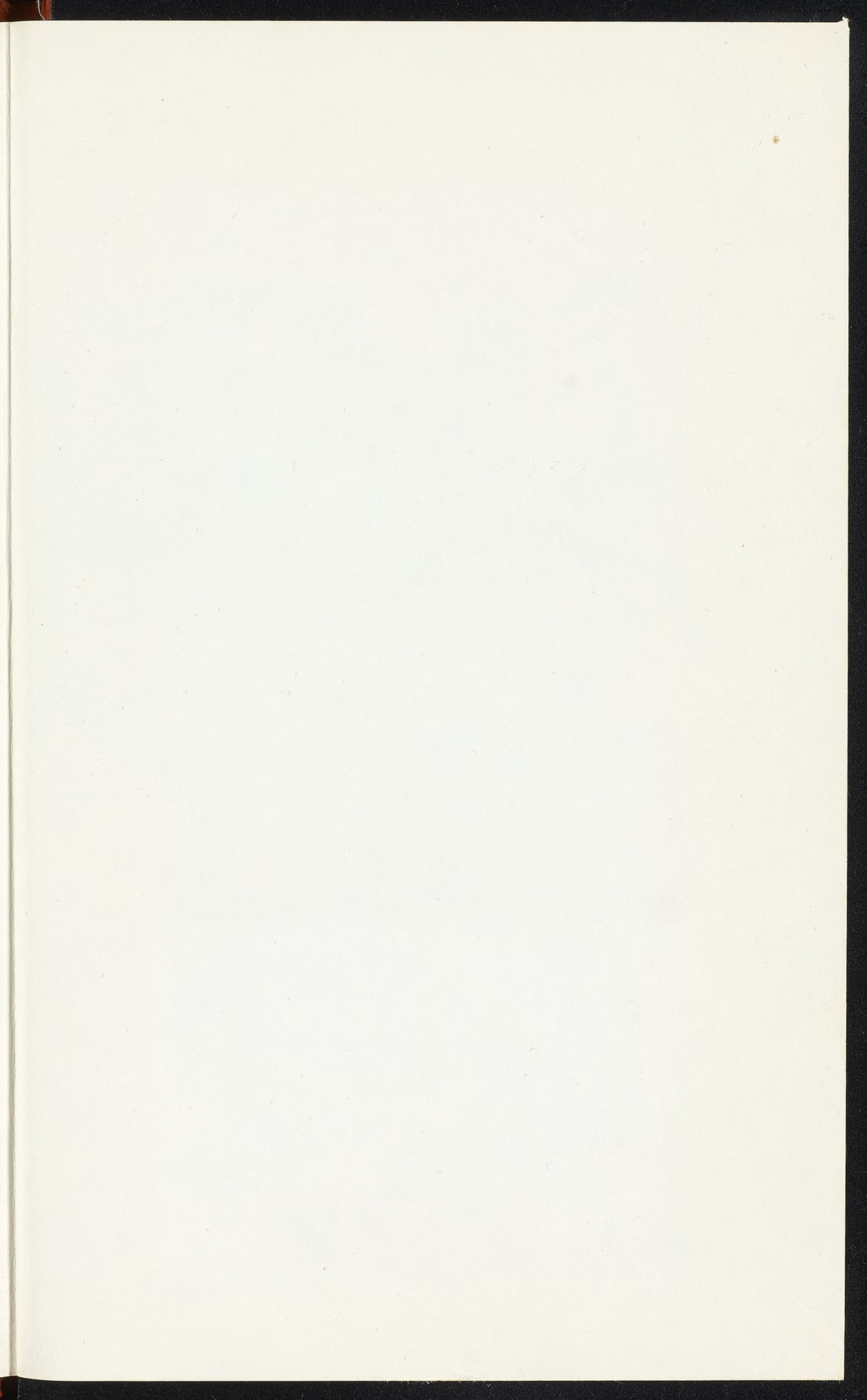
الفهرس

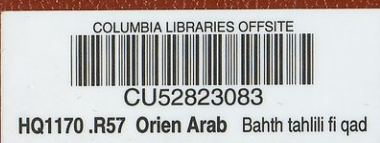
(الفصل السادس)

﴿ الفصل السابع ﴾

الفصل الثامن






COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU52823083
HQ1170 .R57 Orien Arab Bahth tahlili fi qad